

صالح الوردانى

الكلمة والسيف

محنة الرأى فى تاريخ المسلمين



الكلمة والسيف
محنة الرأي في تاريخ المسلمين



- ★ مركز الحضارة العربية ، مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة في استنهاض وتأكيـد الانتماء والوعي القومي العربي ، في إطار المشروع الحضاري العربي المستقل .
- ★ يتطلع مركز الحضارة العربية ، إلى التعاون والتبادل الثقافي والعلمي مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- ★ يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشرها وتوزيعها .
- ★ يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- ★ الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

رئيس المركز

على عبد الحميد على

الكلمة والسيف .. مخنة الراي في تاريخ المسلمين

المؤلف : صالح الورداني

الغلاف : محمد طلعت

الإخراج الداخلي : محمد الغليسوني

الطبعة الأولى : يناير ١٩٩٧

مركز

الحضارة الإلكتروني :

العربية الناشر :

٤ شارع العلمين - ميدان الكيت كات - جيزة

ت : ٣٤٤٨٣٦٨

رقم الإيداع : ٩٧/١٨٩٣

الترقيم الدولي : I.S.B.N. 977-291-005-5

قال تعالى .

وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ..

الأنعام / ٢٩

مقدمة الناشر

ستظل قضايا الخلاف في الرأي والأعتقاد على رأس قائمة اهتمامات المفكرين والمؤرخين ، ليس فقط لأن هذا الخلاف المتجدد يستمد جذوره من حقب تاريخية مضت ، ولكن قبل ذلك وبعده لأنها مشيئة الله في خلقه عندما قضى عليهم بالاختلاف ، ولو شاء سبحانه وتعالى لجعل الناس أمة واحدة ، وعلى رأى واحد .

وهذا الكتاب يتعرض من وجهة نظر مؤلفه الأستاذ صالح الورداني لواقعة من أكثر قضايا الخلاف في الرأي حساسية ومدعاة للجدل ونعنى الصراع فيما بين النص والرأى ، أو بالأحرى أصول ومظاهر وأسباب الخلافات التى نشبت فيما بين المسلمين من بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

إن إيماننا العميق بأن الاختلاف في الرأى لا ينبغى له أن يحول دون كفالة حقوق متساوية لأطراف الخلاف في طرح رؤاهم وما يعتقدونه حقاً يدافعون عنه ، هذا الإيمان كان وراء نشر هذا الكتاب الذى نحسب أنه سيشير جدلاً متناسباً جديته وما نصادفه من متغيرات حاسمة في حياتنا السياسية والفكرية خلال السنوات المتبقية من القرن العشرين .

والمساحة الزمنية التى يتجول المؤلف داخل سنواتها الطوال وأحداثها الجسام باحشا عما يؤيد افتراضاته ، هى بحد ذاتها منبع ومعين لا ينضب لعشرات من التفسيرات والرؤى حتى لتتباين الآراء حول الحدث الواحد أشد ما يكون التباين ، ولعل فى ذلك ما ينفى عن الإسلام ما حاوله البعض من الصاق تهمة الجمود والاستبداد بدعوته الحنيفة .

ورغم قناعتنا بأنه لا يوجد طرف فى العملية التاريخية يتبوأ على الدوام مقعد الظالم الجلاد أو مقام المظلوم المهان ، فإن ما يطرحه المؤلف الورداني عن محنة الرأى فى تاريخ المسلمين يستحق أن يقرأ بإمعان واهتمام لعلنا نجد فيه تفسيراً لبعض ما نكابده اليوم من مظاهر الاستبداد بزعم احتكار الوطنية أو إدعاء الحكمة الألهية .

الناشر

تقديم

قضية مصادرة الرأى التى نعاصرها اليوم والتى تتبناها مؤسسات وهيئات ورموز وتيارات إسلامية إنما هى وليدة تلك المرحلة التى سادت فيها السياسة والقبلية والمصالح على جوهر الإسلام .. ويمكن القول أن تلك المرحلة بدأت بالفعل بعد وفاة الرسول (ص) مباشرة حين بدأت تباشير الصراع بين الرأى والنص تظهر على الساحة وحين سادت القبلية والأهواء والمصالح وضرب الخط الإسلامى الذى خطه الرسول وحدد ملامحه ومعالمه للأمة من بعده ..

ثم دخلت الأمة مرحلة جديدة من مراحل مصادرة الرأى بعد فترة حكم الخلفاء الثلاثة وهى المرحلة الأموية التى اخترعت فيها الروايات المنسوبة للرسول والتى تضىف المشروعية على الوضع القائم ووجه بقسوة وبطش شديد الرأى الآخر المواجه لخط بنى أمية الذى أرسى دعائمه معاوية بن أبى سفيان .. ووجه بقسوة خط الامام على وأولاده وشيعتهم . وشتت عليهم أول حرب إعلامية فى تاريخ المسلمين استخدمت فيها المناير والاحاديث والفتاوى بهدف محو هذا الخط وتشويهه ..

ثم وضع السيف على رقاب الاشيعاء والاتباع ممن ناصروا هذا الخط ووالوه من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين فقهاء وأدباء وشعراء وعمامة ..

ولم تكن قضية مصادرة الرأى وتجريمه تنحصر فى دائرة الخلفاء وبنى أمية وحدهم فقد ابتليت الأمة بخط الخوارج أيضاً ذلك الخط القشرى المتعصب الذى لايفقه سوى لغة السيف والتصفية الجسدية . وقد بدأ صدامه مع الإمام على وتكفيره ثم تطور بعد ذلك إلى تكفير جميع المسلمين المخالفين واستغلال دمائهم وأموالهم .

واستمر تيار الخوارج يلقى بظلاله على واقع المسلمين حتى عصرنا الحاضر الذى أصبحت التيارات الإسلامية تسلك نهجه وتفكر بعقله ..

ثم دخلت الأمة مرحلة تقنين تجريم الرأى ومصادرته وضرب النصوص التى تدعمه وتحض عليه وهى المرحلة العباسية التى جمعت فيها الروايات المنسوبة للرسول ورتبت وفق معايير سياسية خاصة . وصيغت قواعد وعقائد لدعم الوضع السائد وإضفاء المشروعية عليه والتى تمخضت فى النهاية عما سعى : (أهل السنة والجماعة) الذين اعتبروا أهل الحق والناطقين باسم الإسلام وحملة مفتاح الجنة وتصاريح دخولها ومن خاصهم لن يشم رائحتها ..

من هنا ومع استمرار دعم القوى الحاكمة لأهل السنة وتحالفها معهم أصبح الخارج عن دائرتهم والمتاوى لهم فى دائرة التجريم والزندقة ..

ومنذ العصر العباسى وظهور أهل السنة وحتى اليوم استمرت عملية مصادرة رأى والبطش بالمخالفين وتبرير هذا البطش والباسه الشرعية ..

ثم دخلت الأمة بعد ذلك المرحلة النفطية التى برز فيها الدور السعودى الوهابى وتفرخت من خلاله التيارات الاسلاميه المعاصرة وتطبعت به المؤسسات الدينية الحكوميه والهيئات والرموز والاقلام الإسلاميه فى مختلف بقاع العالم الاسلامى ..

وكان الدور السعودى الوهابى محصلة جهود القوى الحاكمة على مر تاريخ المسلمين وهو امتداد فعلى للخط القبلى والأموى والعباسى والأيوبي والملوكى والعثمانى بالإضافة إلى نتاجات فقهاء السلطة ..

وإن فقهاء الوهابية اليوم هم نموذج حى لفقهاء الأمس من السلف والخلف الذين باركوا كل صور العبث والتشويه للإسلام وباركوا مصادرة الرأى وتجريمه ..

إننا نعتقد أن ما حدث من انتهاكات للرأى عبر التاريخ إنما هو يرتبط بالمسلمين لا بالإسلام ..

يرتبط بالحكام ..

ويرتبط بالفقهاء ..

ويرتبط بالروايات المختلفة ..

أما الإسلام بحقيقته وصورته الربانية الصافية فقد عزل عن واقع الحياة من بعد وفاة الرسول (ص) ولم تظهر له إلا ومضات فى فترات متقطعة طوال التاريخ ..

من هنا فقد ربطنا فى هذا الكتاب جرائم الرأى وانتهاكات الحقوق والبطش بالمخالفين ، ربطناها بالحكام والفقهاء والروايات المختلفة وهذه فى مجموعها تشكل تاريخ المسلمين لا تاريخ الإسلام ..

وسوف يري القارئ من خلال هذا الكتاب مايدعم هذه الحقيقة ..

صالح الوردانى

القاهرة

ص. ب / ١٦٣ / ١١٧٩٤

الرأى والنص

اهل السنة والتيارات الاخرى

بين الرأى والنص صدامات وتباعدات على مستوى التاريخ والتراث الإسلامى عموماً . فتارة يقترب الرأى من النص وتارة يبتعد عنه ..

وتارة يعدم الرأى ويسود النص ..

وتارة يعدم النص ويسود الرأى ..

وحركة التباعد والتقارب هذه كان يحكمها العامل السياسى المتمثل فى الحكام . فكلما كان الرأى قريباً من الحكام كان مشروعاً . وكلما كان بعيداً عنهم كان مجرماً وممنوعاً ..

ولم ينحصر هذا الموقف فى حدود الرأى فقط إنما تجاروزه إلى حدود النص الذى يصطدم معهم والذين كانوا يضطرون فى أغلب الاحيان إلى تأويله وصرفه عن معناه . وبالطبع كانت مهمة التأويل هذه هى مهمة الفقهاء ..

ما هو النص .. ؟

إن النص تعبير يطلق على الكلام المقروء والمسموع . لكنه فى معناه الاصطلاحى يطلق على كلام الله وكلام الرسول (ص) الصحيح ..

من هنا فيمكن القول أن النص من باب الاصطلاحى ينقسم إلى قسمين :

نص قرآنى ..

نص نبوى صحيح ..

أما النص القرآنى فينقسم إلى : قطعى وطنسى ، ومحكم ومتشابه ، ومطلق ومقيد ،

وعام وخاص ، ومجاز وحقيقة ، وغير ذلك مما أستخدم عليه علماء اللغة والاصول ..
أما النص النبوي فينقسم إلى صحيح وضعيف وحسن وموضوع ومرفوع إلى غير ذلك من الاقسام
التي نص عليها علماء الحديث ..

وعلماء الحديث ركزوا جهودهم على البحث في سند الحديث (رواته) وأهملوا متنه (نصه) ..
إن هذه التقسيمات التي تتعلق بالنص القرآني والنبوي إنما هي صورة من صور الابداع العقلي .
وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الإسلام قد أعطى مساحة للعقل واسعة وبلا حدود . حتى أن
القرآن أباح الجدل في أدق المسائل وهي وجود الله وقدرته ..

ويبدو ذلك بوضوح من خلال قوله تعالى على لسان إبراهيم (رب أرني كيف تحيي الموتى)
وعلى لسان موسى (رب أرني انظر إليك)
لكن القوم ضيقوا علي العقل وكبلوه بقواعد جامدة أقل ما يقال فيها إنها من اختراع السياسة ..
وكان نتيجة هذه القواعد أن علا الرجال فوق النصوص وأصبح الحق يعرف بالرجال لا العكس ..
من هنا نشأت فكرة قداسة الرجال مثل أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم وأصبح المساس بهم مساس
بالدين ..^(١)

وفكرة تجريم الخوض في النصوص إلا لطبقة الفقهاء والتي انعكست بصورة واضحة على قضية
الرأي على ما سوف نبين ..

إن النصوص هي الحدود والضوابط والمعايير التي يقاس عليها الرجال ومن اصطدم بها أو خالفها
فقد انحرف عن الحق ولو كان صحابياً ..

والنصوص القرآنية والنبوية التي تتفق مع القرآن والعقل والتي ترمى إلى معنى واضح ومحدد ولا
مجال للخلاف حولها كالنصوص التي تؤكد وحدانية الله ونبوة محمد (ص) والبعث والنشور مثلاً
أما النصوص التي تتعلق بالاحكام والتوجيه والارشاد والاخلاق وأمور الدنيا عموماً فأعمال العقل
فيها متاح لكل من يملك أدوات ذلك ..

ومساحة الخلاف في هذه المسائل مفتوحة بلا حدود ولا يوجد ما يقيدتها في الاسلام ..
إلا أن التاريخ يشهد بوقوع تجاوزات كثيرة للنصوص من قبل الصحابة والحكام وحتى الفقهاء كما
يشهد بوقوع انتهاكات لحقوق الانسان خاصة في مجال الرأي ..

إن المتأمل في نصوص القرآن يكتشف أن آيات الأحكام لا تزيد على الخمسمائة آية كما يكتشف
(١) الاعتقاد بقداسة أبي بكر وعمر خاصة ثم عثمان إنما هو ناتج من خلال الروايات التي تزكيتهم والمنسوبة للرسول .
انظر كتب السنن أبواب فضائل الصحابة .. وهي روايات يستشعر منها رفع أناس على حساب آخرين .
انظر لنا كتاب الخدعة . وكتاب السيف والسياسة .

أن النصوص الظنية أى التى لا ترمى لمعنى محدد هى أكثر بكثير من النصوص القطعية وهذا الأمر إن دل على شئ فإنما يدل على مرونة الإسلام فى مواجهة الواقع والاحداث ..

وكما تنص القاعدة الاصولية التى تقول : النصوص متناهية والحوادث غير متناهية . أى إن القضايا التى تتطلب تحديد موقف الإسلام منها وحكمه فيها تتواتر بالملايين على مر الزمان بينما آيات الأحكام معدودة . وهذا يعنى أن هذه الآيات بمثابة قواعد يجتهد على أساسها ويسترشد بها ..

وهنا يطرح الاستشكال التالى : ما دام الأمر كذلك والإسلام يعطى للعقل وللرأى هذه المساحة الواسعة . فمن أين جاءت تلك القواعد والنصوص التى أحدثت هذه البلبلة الفكرية وأصبحت أسلحة تشهر فى وجه الرأى الآخر لترهبه وتحول بينه وبين الإبداع والاجتهاد وفى أحيان أخرى تودى بصاحب الرأى وتبرر نحره على رؤوس الاشهاد ..؟

والحق أن السبب المباشر فى حدوث هذه الاشكالية يعود إلى عدة حقائق تبدو واضحة من خلال التطبيق الإسلامى على مر التاريخ وقد تحاشى الخوض فيها تيار أهل السنة لاعتبارات مذهبية ..
الحقيقة الأولى : ان مكنم الاشكالية ينحصر فى ذلك الكم من النصوص المنسوبة للرسول (ص) وليس للنصوص القرآنية أى دور فيها ..

الحقيقة الثانية : ان القوى الحاكمة وأصحاب المصالح قد وجدوا فى هذه النصوص بغيتهم فقاموا بدعمها ونشرها ..

الحقيقة الثالثة : ان هناك فجوة كبيرة بين النص والتطبيق على مستوى المجتمع الإسلامى . فقد غطت الممارسات السياسية والقبلية والمذهبية على النصوص . فمن ثم وجب تخلص النصوص من هذه الممارسات والنظر فيها بتجرد بعيداً عن الرموز التى ارتبطت بها سواء كانوا من الصحابة أو من الفقهاء ..

إن المتعمق فى التراث الإسلامى قد يخرج بمحصلة أن الإسلام ضد حرية الرأى وأنه طوال مراحل التاريخ الإسلامى لم يأخذ الرأى الآخر مساحته المطلوبة بل عودى وأضطهد وبطش بأصحابه ..
وهؤلاء إنما بنوا موقفهم هذا على أساس التطبيق والممارسات السياسية للدول والحكومات التى قامت بعد وفاة الرسول (ص) وما نتج عن هذه الممارسات من نصوص اخترعت لتبرير هذه الممارسات على لسان الرسول (ص) ..

ومازاد هذا رسوخاً هو تلك المواقف والممارسات التى تتبناها التيارات الإسلامية المعاصرة فى مواجهة الرأى الآخر . هذه التيارات التى تعيش فى مأزق فكرى بسبب الأطروحات التراثية التى تعتقدها وتبنى تصورها وأطروحتها على أساسها وبين الواقع والتغيرات ..

- العقيدة الالهية والعقيدة الوضعية :

إن مكن المأزق الذى تعيشه التيارات الإسلامية المعاصرة والفكر الإسلامى بشكل عام والذى أبرزه بمظهر الاستبداد وأبرز التيارات الإسلامية بمظهر العدوانية والتعصب بماشكك الرأى العام فى أطروحتها - إنما يعود سبب ذلك إلى التراث الذى صبغته الروايات المنسوبة للرسول (ص) وطغت عليه أقوال الرجال وأصبح من الصعب التفريق بين النص والرجال أو بين النص والتطبيق ..

وهذا المأزق قد شمل المؤسسات الإسلامية الحكومية التى طوعت الدين للحكومات وأخضعت النص للطرح الحكومى ..

وليس هناك من سبيل للخروج من هذا المأزق إلا بالتفريق بين النص والتراث أو بين النص وأقوال الرجال التى تحولت بمرور الزمن إلى عقيدة طغت على العقيدة الالهية ..

من هنا وجب التفريق بين العقيدة الوضعية والعقيدة الالهية كى يتبين لنا أن مناهضة الرأى وتجريره إنما يعود إلى تبنى العقيدة الوضعية فى مواجهته ..

والمقصود بالعقيدة الوضعية هى تلك الآراء والاجتهادات والروايات المنسوبة للرسول التى علقت بالاسلام وأصبحت بمرور الزمن جزءاً منه أما العقيدة الالهية فهى النصوص القطعية الواردة بالقرآن التى تتعلق بالله وبالرسول وسائر الغيبيات التى يعتقدونها المسلمون وبها أصبحوا مسلمين ..

وعلى ضوء ما سبق يمكن تقسيم العقيدة الوضعية إلى قسمين :

الأول : سياسى ..

الثانى : مذهبى ..

أما السياسى فهو ما قد أدخلوه على الدين من قواعد ومفاهيم وروايات توجب الاعتقاد بخلافة الأربعة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على . على هذا الترتيب .. والاعتقاد بعدالة جميع الصحابة .

ووجوب السكوت على الخلافات والممارسات والتجاوزات التى أرتبطت بكثير من الصحابة بعد وفاة الرسول (ص) .. (٢)

ووجوب طاعة الحكام وعدم الخروج عليهم .. (٣)

(٢) تنص عقيدة أهل السنة على هذا الترتيب . كما تنص على عدالة جميع الصحابة بلا استثناء . أنظر العقيدة الطحارية . والعقيدة الواسطية وكتب عقائد أهل السنة الأخرى مثل الابانة فى أصول الديانة للأشعرى . وأصول الدين للبيضاوى . وانظر لنا كتاب أهل السنة شمع الله المختار ..

(٣) طاعة الحكام وإن جلدوا الظهور وسلبوا الأموال وإن كانوا فجاراً واجبة كذلك الصلاة من خلفهم والجهج والجهاد معهم . وهو ما تنص عليه كتب العقائد المشار إليها سابقاً . وهو دليل كاف على ان السياسة لعبت لعبتها فى صياغة هذه العقائد ..

ووجوب الصلاة وراء كل بروفاجر .. (٤)

وكل هذه قواعد اخترعتها السياسة لإخضاع الأمة للحكام وليس لها أى نصيب من الشرعية ولا توجد نصوص قطعية تدعمها اللهم إلا بعض النصوص النبوية المخترعة لغرض تبريرها ونشرها وإضفاء المشروعية عليه ..

ومثل هذه القواعد من أساسيات عقيدة أهل السنة وإنكارها أو نقدها يوجب الحكم بالمروق والزندقة .. (٥)

أما المذهبي فهو اعتقاد أن طريقة أهل السنة هي مذهب الحق ونهج الفرقة الناجية من النار ومادونه الباطل والحكم بالزيغ والضلال على المذاهب والاتجاهات الأخرى .. (٦)

إن المواجهة مع الرأي الآخر سواء تمثل في اتجاهات قديمة (الفرق) أو في اتجاهات معاصرة (الجماعات) إنما تقوم في أساسها على الجانب الوضعي عند أهل السنة .

أى أن أهل السنة بفقهاءهم ومؤسساتهم يواجهون الآخرين في كل عصر بآراء واجتهادات تم دعمها من قبل الحكام وأوهمو العامة أنها نصوصاً ..

ولقد منحت الحكومات المتعاقبة أهل السنة فرصة التمكين والسيادة على الآخرين مما يسر لهم التغلغل والانتشار بين الجماهير على حساب التيارات الأخرى من معتزلة وشيعة وغيرهم وقد أدى هذا الوضع إلى حصول أهل السنة على صلاحية محاكمة الآخرين والبطش بهم ..

إن أحداث التاريخ تؤكد أن أهل السنة عاشوا واستمروا بفضل دعم الحكام ولو كان الحكام قد تخلوا عنهم لكانوا أندثرُوا بأفكارهم وآرائهم كما أندثرت فرق أخرى كثيرة لم تجد عوناً ولا دعماً من القوى الحاكمة ..

وهذا الدعم لأهل السنة من قبل الحكام إنما هو مستمر حتى اليوم ليس لشئ إلا لكون نهج أهل السنة يمثل أكبر دعامة يمكن أن ترتكز عليها الحكومات في مواجهة التيارات الأخرى التي تهدد وجودها ومستقبلها ..

وفى الحقة النفطية المعاصرة قام النظام السعودي بدعم عقيدة أهل السنة التي تمكنت بفضل هذا الدعم من إختراق التيارات والمؤسسات واستقطاب الرموز الإسلامية البارزة فى الساحة الإسلامية .. ولأن الدعوة الوهابية التى يرفع رايتها آل سعود تقوم فى أساسها على دعوة ابن تيمية وفكره .

(٤) ابتدعت هذه القاعدة من فعل ابن عمر حين صلى وراء الحجاج بن يوسف وليس لها سند صحيح ..

(٥) حكم بالمروق والزندقة على الشيعة والمعتزلة والجهمية والقدرية وغيرهم ممن خالفوا نهج أهل السنة ..

(٦) تحمض أهل السنة برواية (افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة . وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة . وتفتقر أمتى على ثلاث وسبعين فرقة . فرقة واحدة فى الجنة واثنان وسبعون فى النار .. وقد اعتبر أهل السنة أنفسهم فرقة أهل الجنة الناجية من النار التى قصدتها الرسول (ص) ..

فقد ركز آل سعود على نشر خط ابن تيمية ومعتقداته بين الاسلاميين حتى أصبحت عقيدته وأفكاره هي المعبر عن الاسلام وأهل السنة بين جميع التيارات الاسلامية والرموز الاسلامية المعاصرة .. (٧)

بينما الحقيقة أن عقيدة ابن تيمية عقيدة شاذة فى دائرة أهل السنة وقد ضربت من قبلهم وحكم على ابن تيمية بالكفر من قبل علماء عصره وحبس بسبب أفكاره الشاذة حتى مات فى السجن.. (٨)

إن أفكار ابن تيمية ومواقفه ومعتقداته إنما تمثل أخطر صور التحجر والتعصب والعدوانية التى ظهرت فى تاريخ المسلمين . وقد ورث هذا التحجر والتعصب والعدوانية تلاميذه ثم التيار الوهابى المعاصر الذى نقله بدوره إلى التيارات الاسلامية ..

ولقد ظلت المؤسسة الدينية وتيار أهل السنة ألعوبة الحكام على مر الزمان ويبدو هذا الأمر واضحاً أمامنا حين سخرت التيارات والمؤسسات الاسلامية فى محاربة إيران والشيعنة ودعم صدام حسين أثناء الحرب العراقية الايرانية . ثم سخرت نفس المؤسسات والتيارات والرموز فى محاربة صدام حين انقلب على دول الخليج وقام بغزو الكويت ..

- تجريم الراى :

إن هناك الكثير من النماذج على مستوى التاريخ والواقع تكشف لنا أن احترام الراى الآخر والتسامح معه لم يكن لها وجود إلا فى أضيق الأطر وفى حالات خاصة . وإن الذى ساد هو الاستبداد ..

استخدمت فيه القوى الحاكمة السيف ..

واستخدمت فيه الفقهاء النص ..

وحسب القاعدة الفقهية التى ابتدعها أهل السنة : لا اجتهاد مع النص . فإنه لا يجوز إبداء الآراء فى حالة وجود النص . ولكن أى نص ..؟

لقد حال أهل السنة بين المسلمين ومحاولات الاجتهاد حتى أغلق بابه تماماً . وتفرخت من خلال هذا الوضع الفرق والاتجاهات المتحجرة والمتخلفة عن الواقع والتى أدت بهم فى النهاية إلى أن يصطدموا بها كما حدث مع ابن تيمية . وكما يحدث مع الجماعات الاسلامية المعاصرة خاصة فى السعودية . تلك الجماعات التى أصبحت تشكل خطراً على التيار السننى الوهابى والمؤسسة الدينية بكاملها هناك . ورغم كون أهل السنة يحظرون الاجتهاد مع النص إلا أنهم اضطروا لتبرير اجتهادات كثيرة برزت مع

(٧) يقوم آل سعود بنشر كتب ابن تيمية وابن عبد الوهاب ويوزعونها مجاناً على المسلمين . وقد قام خادم الحرمين بطبع فتاوى ابن تيمية (٣٧) مجلد على نفقته ويوزع مجاناً . وجزير بالذكر أن التيارات الإسلامية المتطرفة تعتمد على أفكار ابن تيمية . كما أن المواقف العدوانية ضد الآخرين مستمدة من أفكاره أيضاً ..
(٨) انظر الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى ج ١ / ١٤٤ . وفيه انه تودى فى الطرقات من اعتقد عقيدة ابن تيمية فقد استحل ما له ودمه .

وجرد النص قام بها صحابة على رأسهم عمر بن الخطاب الذي منع نصيب المؤلفة قلوبهم من الزكاة وهم من الأصناف الثمانية التي نص عليها القرآن . ومنع تقسيم الغنائم على فاتحي فارس على الرغم من أحقيتهم لهذه الغنائم ينص القرآن . وحرم زواج المتعة وكان ذلك مخالفة صريحة لحكم شرعي قرأني .. (٩)

ونفس الموقف وقفوه من عثمان حين أحرق المصاحف وألزم الأمة بمصحفه وقضى بذلك على كل صور الاجتهاد وأعمال العقل في نصوص القرآن والتي كانت تعتمد على تفسيرات وتوضيحات لنصوصه منقوله عن الرسول (ص) كانت موجودة بالمصاحف التي تم إحراقها . (١٠)

أى أن فعل عثمان أجبر الأمة على فهم القرآن وتلقيه بشكل محدد وقد رتب ترتيباً خاصاً لا مجال لأعمال العقل فيه وأصبح يعوق فهم نصوص القرآن ..

وقد برر موقف عثمان هذا من قبل الفقهاء كما بررت تجاوزاته وممارساته الأخرى . كذلك الامر بالنسبة لعائشة التي خالفت النصوص القرآنية التي تأمرها بعدم التبرج والخروج من البيت وخرجت على الجماعة الشرعية وحرضت على الثورة وقتال الإمام على لأغراض قبلية لا صلة لها بالدين وتسببت في إراقة دماء آلاف المسلمين .

ثم بررت جرائم معاوية وانتهاكاته لحدود الدين وأضفيت عليه صفة القداسة باعتباره صحابياً . ودافع كثير من الفقهاء عن ولده يزيد وحسنوا صورته في أعين المسلمين وعلى رأس هؤلاء الفقهاء ابن تيمية . واستمر موقف التبرير والدفاع عن التجاوزات والجرائم والانتهاكات حتى شمل الحجاج بن يوسف الذي كان يصلى من ورائه عبدالله بن عمر بن الخطاب وانس بن مالك .. (١١)

إلا أن أهل السنة الذين لا يبيحون الخروج عن النص نظرياً يعتبرون الصحابة هؤلاء استثناءً خاصاً لأنهم عدول باجماعهم ولأن عمر وعثمان من الراشدين المهديين الذين أمرنا باتباع سنتهم وهديتهم .. (١٢)

أما محاولات الاجتهاد وابداء الآراء من قبل أي طرف آخر في النصوص خاصة تلك النصوص التي تتعلق بالصحابة والحكام والسياسة فمنوعة ويجرم فاعلها ويزندق ..

يقول ابن كثير عن الذين يحاولون المساس بالصحابة أو نقدهم : من ظن بالصحابة ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطئ على معاندة الرسول (ص) ومضادتهم في حكمه ونصه ومن

(٩) انظر لنا كتاب زواج المتعة خلال . وكتاب السيف والسياسة .. وانظر كتاب النص والاجتهاد ط بيروت ..

(١٠) انظر كتاب الخدعة ط بيروت . وكتاب دفاع عن القرآن ..

(١١) انظر لنا كتاب العواصم من القواصم لابي بكر بن العربي وهو كتاب وضع خصيصاً للدفاع عن الصحابة وتبرير مواقفهم ..

(١٢) هذا الموقف نابع من حديث منسرب للرسول (ص) يقول : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي .. وقد اعتبر أهل السنة أن هذا الحديث يقصد به الخلفاء الأربعة ..

وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ريقه الإسلام من عنقه وكفر بإجماع الأمة والاعلام وكان إراقة دمه أحل من إراقة المدام .. (١٣)

إن نقد الصحابة ومهاجمتهم عند أهل السنة يعتبر كفراً لأنه فى نظرهم نقد وهجوم على الإسلام فهم قد ربطوا أنفسهم بالإسلام حتى اعتقدوا أن الإسلام هو مذهبهم ومذهبهم هو الإسلام .. وهذا هو حال التيارات الاسلامية المعاصرة التى تعيش بعقل الماضى فقد وصلت باتباعها منهج أهل السنة إلى هذا الاعتقاد ..

ولاشك أن هذا الاعتقاد سوف ينتج عنه تجريم الآخرين وتكفيرهم ممن يخوضون فى قضايا التاريخ وأحداثه التى أرتبطت بكثير من الصحابة .

وسوف ينتج عنه الاحساس بالعلو والترفع على الآخرين ..

وسوف يبيح لهم إجراء محاكم تفتيش للآخرين ..

وهذا ماحدث على مر التاريخ حتى أن بعضهم قال : إن من يتمنون موت أهل السنة يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون .. (١٤)

وعلى رأس النصوص النبوية - وليس القرآنية - التى أعتمد عليها أهل السنة فى إضفاء المشروعية والقداسة على أنفسهم وعلى الحكام الذين يدعمونهم تقف النصوص التالية :

(إن الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ؟ وفسرت الواحدة أنها أهل السنة والجماعة ..

(من رأى من أميره مايكره فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فمات إلا مات ميتة جاهلية .. (١٥)

(السمع والطاعة وإن جلد ظهره وأخذ مالك) (١٦)

(من خرج عليكم وأنتم جميع فاضربوه ضربة رجل واحد .. (١٧)

(من أحدث فى أمرنا هذا فهو رد .. (١٨)

(خير القرون قرنى ثم الذى يليه ثم الذى يليه) (١٩)

(١٣) البداية والنهاية ج ٥ / ٢٥٢ ..

(١٤) القائل هو أبو ايوب السجستاني . نقلاً عن كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة / اللالكائى ج ١ / ٦١ ..

(١٥) انظر البخارى ومسلم كتاب الإمارة وكتب السنن الأخرى ..

(١٦) مسلم كتاب الإمارة ..

(١٧) المرجع السابق ..

(١٨) البخارى ومسلم ..

(١٩) المرجعين السابقين ..

(لاتسبوا أصحابي ..) (٢٠)

(عليكم بستى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوعليها بالنواجز ..) (٢١)

وعلى أساس هذه النصوص وغيرها قام أهل السنة بدعم الحكام بإجراء المحاكمات العقائدية والفكرية للآخرين واستباحة دمانهم ..

والتأمل فى محاكمة الحلاج الذى حكم بصلبه يتبين له هذا الأمر . كذلك تكفير ابن عربى وزندقته وابن قتبية وابن هانى الأندلسى الشاعر ثم المسعودى المؤرخ المتهم بالتشيع وكذلك الاصبهاني صاحب الاغانى ومصراع السكيت على يد المتوكل العباسى بسبب آرائه ثم السهروردى ومذابيح صلاح الدين فى مصر واعدامه للشاعر عمارة اليمنى ومصراع النسائي صاحب السنن الذى قتل على يد أهل الشام بسبب موقفه من معاوية وغير ذلك من الرموز الفكرية والادبية والفقهاء التى راحت ضحية الرأى على ماسوف نبين .. (٢٢)

بروى ابن كثير فى تاريخه تحت عنوان (قتل الرافضى الخبيث) : أنه وجد بالجامع الأموى بدمشق رجل يسب الشيخين (أبو بكر وعمر) وصرح بلعنهما . ورفع أمره إلى القاضى المالكى فاستتابه على ذلك فأصر وحكم بإراقه دمه فضربت عنقه وحرقت العامة رأسه وطافت بها فى طرقات المدينة .. (٢٣)

ومن خلال هذه الحادثة نخرج بالنتائج التالية :

- ان الذى يسب الصحابة تساوى حكمه مع الذين يسبون الله عند أهل السنة ..

- ان سب الصحابة ردة عن الإسلام ..

- ان المتهم كان مخيراً بين السيف ورأيه ..

- ان أهل السنة يعتبرون ناقد الصحابة ساباً لهم وطاعناً فيهم ..

- ان الاستتابة التى لا تجوز إلا فى حالة الردة عن الإسلام طبقت هنا على ساب الصحابة ..

كما أن التمثيل بجثث الموتى لا يجوز شرعاً فمن أين أتوا بجواز التمثيل بجثة هذا القتل ولا يتسع المجال هنا لذكر الامثلة الخاصة بمصادرة الرأى وتصفية أصحابه والبطش بهم فهى أكثر من أن تحصى إلا أننا سوف نورد فى هذا الكتاب ما يمكن حصره من هذه الحالات ..

والتأمل فى حالات الصدام المعاصرة بين التيارات والمؤسسات الإسلامية وبين التيارات والاتجاهات السياسية الأخرى يتبين له أن جميع هذه الحالات تدخل فى مجال صراع الرأى وليس صراع

(٢٠) أنظر أبو داود وكتب السنن ..

(٢١) أبو داود . وأنظر كتب السنن ..

(٢٢) انظر باب شهداء الرأى من هذا الكتاب ..

(٢٣) البداية والنهاية ج ١٤ / ٣١٠ . وانظر تفاصيل هذه الحادثة ضمن ملاحق الكتاب ..

النص والرأى أى أن التيارات والمؤسسات الإسلامية تصارع التيارات الأخرى بالجانب الوضعى من العقيدة والتي تتمثل فى الآراء والقواعد والمفاهيم التي اخترعتها السياسة ودعمها الفقهاء وأضافوا عليها القداسة ..

إلا أن أهل السنة حولوا الصراع بينهم وبين التيارات الأخرى إلى صراع نصوص فهم لا يطبقون الرأى الآخر ويغلقون الأبواب فى وجهه ويسخفون العقل ويهملونه وقد اعتادوا منذ ظهورهم على هذا الوضع متحصنين بالاغلبية ساخرين من القلة متلحفين بنصوص وهمية منسوبة إلى الرسول (ص) ومستورين بالحكام ..

وينبغى لنا هنا أن نلقى الضوء على المحاذير التي أدت إلى هذه الصدمات الفكرية المعاصرة وتجريم أصحاب الرأى . تلك المحاذير التي تنبع أساساً من نفس الموقف القديم . فطريقة المواجهة وطريقة التفكير وحتى طريقة المحاكمة للرأى الآخر والتي هى أشبه بمحاكم التفتيش لا تزال كما هى فمن ثم فإن الذين تصدوا للرموز الفكرية والاقلام المعاصرة وحاربوهم باسم الاسلام كانوا يتسلحون بنفس الاسلحة التي كان يتسلح بها فقهاء الماضى ..

من هنا فهم يرفضون الصدام مع أطروحات التراث وتحطيم الحواجز التي تكبل العقل والتي اخترعتها السياسة فى عصر برزت فيه دعاوى الحرية وخفت فيه ضغوط الحكومات على الرأى وهذه المحاذير التي تبرر إعلان الحرب على الرأى الآخر اليوم يمكن تركيزها فيما يلى :

- ارتباط معظم الرموز الاسلامية بدول النفط خاصة السعودية ..
- ارتباط الرموز والكتابات بتيارات واتجاهات تقتضى إبقاء هذه القواعد والمفاهيم الوضعية (عقيدة أهل السنة)
- إرهاب المؤسسات الدينية ..
- إرهاب التيارات الاسلامية ..

إن مثل هذه المحاذير هى التي تبرر ذلك الموقف المعادى الذي يتخذه هؤلاء من كل من يحاول الخوض أو الخروج من الدائرة التي رسمت للأمة من قبل الحكام وأضيفت عليها المشروعية من قبل الفقهاء ..

وإن الحفاظ على مذهب أهل السنة يقتضى محاربة الرأى الآخر وتدميره . فهذه المسألة بالنسبة لأهل السنة مسألة مصيرية تحتم استحالة التعايش بينهم وبين الآخرين . فمن ثم سوف يستمر البطش والارهاب الفكرى من قبلهم تجاه كل تيار أو صاحب فكر يحاول المساس بهم أو يشكك فى مفاهيمهم وعقائدهم وذلك لاعتبارات كثيرة ذكرناها ونوجزها فيما يلى :

- اعتقادهم أنهم يمثلون الفرقة الناجية من النار فى الآخرة المنصورة من عدوها فى الدنيا

- اعتقادهم أنهم يمثلون الأغلبية ..
- الشعور الدائم بالأمن والاستقرار فى كنف القوى الحاكمة ..
- اندثار معظم الفرق والاتجاهات المناوئة لهم ..
- الشعور بالاستعلاء على الآخرين (أصحاب البدع والضلالات من منظورهم والذين يتركزون اليوم فى التيار الشيعى والتيار الصوفى على المستوى الاسلامى والتيارات العلمانية والقومية وغيرها على المستوى السياسى) ..
- البطش الدائم بالمخالفين على مر الزمان طبع أفكارهم وعقائدهم بالطابع السلطوى ..
- من هنا ومما سبق ذكره يتبين لنا أن قضية الرأى والمصادرة الفكرية لها جذورها التاريخية التى تجعل من الصعب مناقشتها دون العودة لهذه الجذور وتنبى على هذه الصعوبة صعوبة أخرى هى صعوبة المعالجة ..
- وإذا كانت مسألة اجهاض الرأى ومقاومته على مر الزمان قد ارتبطت بأهل السنة فإن هذا يؤكد لنا أن اجهاض الرأى ومقاومته كان من قبل المسلمين لا الاسلام الذى لم تتح له منذ وفاة الرسول (ص) فرصة التطبيق الصحيح ..
- وتبقى اشكالية فكرية فى دائرة طرح أهل السنة تكشف لنا مدى حالة التناقض الفكرى التى يعيشها هذا الطرح وتكشف لنا بوضوح أن الحكام هم الذين ستررو أهل السنة وحافظوا على هذا الطرح المتناقض ولولا هذا الموقف لكان أهل السنة فى ذمة التاريخ . حالهم كحال أى فرقة أخرى من الفرق المندثرة ..
- وممكن هذه الاشكالية ينحصر فى موقف أهل السنة من عائشة زوجة النبى (ص) وأبى بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد ولده وقد أسهم هؤلاء جميعاً فى إراقة دماء المسلمين والبطش بالمخالفين وعذروهم .
- ولقد كان من الأولى لأهل السنة ماداموا يعذرون فى الدماء أن يعذروا فى الافكار . إلا أن مثل هذا الموقف بالطبع سوف يصطدم بالحكام والمحافظة عليه يعنى الحفاظ على خط وسياسة تحقق الدعم الشرعى والاستقرار للحكام ..



العنف

الجدور الفقهية والتاريخية ..

تعد قضية العنف قضية طارئة على الواقع الاسلامى تولدت من خلال السياسة ولم تتولد من خلال النصوص. بمعنى أن السياسة صبغت الاسلام بصفتها بعد وفاة الرسول (ص) وخلقت الكثير من النصوص التى أسهمت فى توطين العنف وتبريره فى واقع المسلمين ..

إن المتأمل فى نصوص القرآن - وهى النصوص التى لم تمتد إليها يد السياسة - لا يجد من بينها أية نصوص تشير إلى العنف تجاه المسلمين وغير المسلمين. حتى نصوص الجهاد لها تقنين خاص يرتبط بظروف ومسببات كما يرتبط بوجود الدولة ..

والعبث. كل العبث بدأ مع الروايات التى قام باختراعها الحكام بداية من أبى بكر حتى معاوية . تلك الروايات التى استعان بها الفقهاء من بعد فى صناعة فقه العنف ثم تلتفت التيارات الاسلامية من بعدهم هذه الروايات وفتاوى الفقهاء لتبرير استخدام العنف فى مواجهة المخالفين من المسلمين وغير المسلمين ..

من هنا فإن البحث فى قضية العنف إنما يفرض علينا إلقاء الضوء على تاريخ المسلمين الذى نبعت منه هذه القضية وفرضت نفسها فى حصانة روايات مخترعة باركها فقهاء السلطة وزادوها مناعة ومشروعية بفكرة الاجماع ..

لقد نبعت قضية العنف من خلال ثلاثة قطاعات :

الأول: الصحابة ..

الثانى: الفقهاء ..

الثالث: الحكام ..

(ولا / الصحابة :

إن الحديث عن سلوكيات الصحابة ومواقفهم تجاه قضية العنف تتطلب العودة إلى الوراثة إلى واقع الرسول (ص) طارحين السؤال التالي : هل تبني الرسول العنف وممارسة ..؟

والجواب : لا .. فالرسول طوال فترة الدعوة لم يتبن العنف ولم يناد به ولم يمارسه ..
سواء على مستوى تطبيق النصوص ..

أو في مواجهة الخصوم ..

أو في حدود الرأي ..

وهناك ثلاث جبهات وقفت في مواجهة الرسول (ص) وعرقلت مسيرته وتآمرت عليه بل حاولت اغتياله ورغم ذلك كان الرسول يقف في مواجهتها موقفاً سلمياً غاية في الاعتدال وهذه الجهات هي:

قريش ..

المنافقون ..

الخوارج

فتارة كان يواجهها بسلاح الشعر ..

وتارة بسلاح الكلمة والبيان ..

وتارة يواجهها بتحسين مجتمعة وتقوية دولته وتعبئة أصحابه ..

وحين فتح الرسول (ص) مكة قال لأهلها قولته الشهيرة : اذهبوا فأنتم الطلقاء .. (١)

ومثل هذا الموقف إنما يعكس مدى عمق التسامح والاعتدال في منهج الرسول الذي تجلّى في الشعار الذي رفعه حين الفتح : من دخل داره فهو آمن . ومن دخل البيت الحرام فهو آمن . ومن دخل دار أبو سفيان فهو آمن .. (٢)

وفي مواجهة المنافقين التزم الرسول بسياسة الارجاء . أي إرجاء عقابهم إلى الآخرة على الرغم من معرفته التامة بهم ومدى مايشكلون من خطر على الدعوة والمجتمع .. ورغم مطالبة الصحابة بضرورة التخلص منهم بقتلهم . فقد كان الرسول يرفع في وجه المطالبين بتصفيتهم شعاره : أخاف أن يقال أن محمداً يقتل أصحابه

إن هذا الموقف من الرسول (ص) تجاه المنافقين يدل دلالة واضحة على مدى تسامح الرسول ومدى

(١) انظر كتب السيرة والتاريخ ..

(٢) انظر المراجع السابقة ..

اعتداله فى مواجهة الخصوم وهو يحمل رؤية مستقبلية ذات أهمية بالغة لتأمين مسيرة المجتمع وتحقيق الاستقرار على ساحته . فالمناقق يظهر الاسلام ويبطن الكفر والاحكام والمعاملة إنما تبنى على الظاهر لا على الباطن . ولو حاكم الرسول الناس على أساس سرائرهم التى لا يعلمها أحد إلا الله فهو بذلك يدمر دعوته ويفرق الناس من حوله . ثم أن الرسول وحده الذى يعلم بسرائر هؤلاء المناققين عن طريق الوحى لا الصحابة ولا سائر المجتمع فعلى أى أساس سوف يعاقبهم ..؟

إلا أن الرسول (ص) بهذا الموقف يسن لأصحابه تشريعاً حكيماً لتسويس المجتمع وتحقيق الأمن والاستقرار لكافة قطاعاته فلر قدر له أن يفتح باب تصفية المناققين جسدياً لتحول المجتمع من بعده إلى ساحة إعدامات تجرى من حولها أنهار الدماء . إذ أن القتل سوف يكون بمجرد الظن والشبهة أو حتى بمجرد التصريح برأى مخالف ..

وأما بخصوص الخوارج فقد برزت طلائعهم فى عصره وتحدت له أشخاصهم ونبأ أصحابه بفتنتهم إلا أنه لم يتخذ أية تدابير أمنية تجاههم وذلك لسبب جوهرى واضح هو أن الرسول يريد أن يضع قاعدة للمؤمنين فى التعامل مع الخصوم وهى ان العقاب يكون فى مواجهة الجرم لا ان يكون فى مواجهة احتمال وقوعه . فالرسول يعلم بما سوف يصنعه الخوارج من فتن ومفاسد فى المستقبل لكن مجرد العلم لا يكفى لتوقيع العقوبة . إذ كيف يعاقب المرء على أساس علم الغيب ..؟^(٣)

ومثل هذا الموقف من الرسول إنما هو قمة الاعتدال وقمة الحرية التى تفتقد لها مجتمعاتنا اليوم التى تأخذ الناس بالظن وتعاقبهم بالتوايا ..

وحتى يظهر لنا موقف الرسول (ص) وممارساته بصورة أكثر وضوحاً سوف نعرض لعدد من الروايات التى تؤكد اعتدال هذا الموقف وساحته :

(من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنا وإن سرق وإن شرب الخمر ..) ^(٤)

(من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو مسلم له ذمة الله ورسوله) ^(٥)

(كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه ..) ^(٦)

(الدين النصيحة ..) ^(٧)

(إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحداً إلا غلبه ..) ^(٨)

(٣) انظر مسلم باب ذكر الخوارج . وكتب السنن ..

(٤) رواه البخارى ومسلم ..

(٥) انظر المرجعين السابقين وكتب السنن أبو داود والترمذى والنائى وابن ماجه ومسند أحمد والبيهقى ..

(٦) انظر المراجع السابقة ..

(٧) المراجع السابقة ..

(٨) المراجع السابقة ..

(لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ..) (٩)

(إذا قال المسلم لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ..) (١٠)

(إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ..) (١١)

(إن الله جميل يحب الجمال الكبير بطر الحق وغمط الناس ..) (١٢)

(نهى رسول الله عن لعن شارب الخمر ..) (١٣)

(ونهى عن قتل من قال لا إله إلا الله ..) (١٤)

(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ..) (١٥)

ويروي أن رسول الله (ص) بعث على بن أبي طالب إلى اليمن فبعث إليه منها بذهبية في آدم مقروص لم تحصل من ترابها فقسما بين أربعة نفر . فقال رجل من أصحابه كنا أحق بهذا من هؤلاء . فبلغ ذلك النبي (ص) فقال : ألا تأمنوني وأنا أمين في السماء يأتي خبر السماء صباحاً ومساء . فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس . مشمرا الإزاز . فقال : يارسول الله . اتق الله . فقال الرسول : وبلك . أولست أحق أهل الأرض أن يتقى الله فولى الرجل فقال خالد بن الوليد : وقال يارسول الله ألا أضرب عنقه . فقال : لا لعله أن يكون يصلى قال خالد : وكم من مصلى يقول بلسانه ما ليس في قلبه . فقال الرسول : إنى لم أؤمر أن انقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم . ثم نظر إليه وهو مقف فقال أنه يخرج من ضئضى هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية (١٦)

ويروي أن أسامة بن زيد قتل رجلاً بعدما قال لا إله إلا الله . فقال له الرسول (ص) غاضباً يا أسامة أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله وكرر ذلك عليه حتى قال أسامة : تمنيت أنى لم أكن أسلمت إلا يومئذ .. (١٧)

ومثل هذه النصوص والمواقف التي تعكس واقع الرسول (ص) وتؤكد رفضه لفكرة العنف إنما تعد مثلاً وتطبيقاً عملياً لقوله تعالى : (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ..)

(٩) المراجع السابقة ..

(١٠) المراجع السابقة ..

(١١) المراجع السابقة ..

(١٢) المراجع السابقة ..

(١٣) المراجع السابقة ..

(١٤) المراجع السابقة ..

(١٥) المراجع السابقة ..

(١٦) المراجع السابقة ..

(١٧) المراجع السابقة ..

وقوله : (كتب ريكم على نفسه الرحمة ..)

وقوله : (رحمتي وسعت كل شيء ..)

وقوله للرسول : (وانك لعلی خلق عظیم)

البداية :

ما أن اشتد المرض بالرسول (ص) حتى بدأت تظهر في الألق بوادر الانحراف بين قطاعات المنافقين والخوارج والقبليين والتي أثمرت في النهاية حالات من العنف فرضت نفسها على واقع المدينة فور إعلان وفاة الرسول ..

وأول هذه الحالات رفض عمر بن الخطاب وصية الرسول وإثارته الشغب في حضرته وهو على فراش مرض الموت وسبه الرسول مما أدى إلى انقسام الصحابة ما بين مؤيد لعمر ورافض لموقفه ووقوع صدام بين الطرفين ..

يروى البخاري عن ابن عباس أنه قال : يوم الخميس .. وما يوم الخميس ..؟

اشتد الوجع برسول الله (ص) فقال : أتتوني اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ..

فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع . فقالوا ما شأنه أهجر . استفهموه . فذهبوا يردون عليه فقال : دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه ..

وفي رواية أخرى : لما حضر رسول الله (ص) وفي البيت رجال . فقال النبي : هلموا اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده . فقال بعضهم أن رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن . حسبنا كتاب الله . فاختلف أهل البيت واختصوا . فمنهم من يقول قريوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك . فلما أكثروا اللغو والاختلاف . قال رسول الله : قوموا ..

قال ابن عباس : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغظهم ..

وفي رواية ثالثة عن ابن عباس أيضاً : لما اشتد بالنبي وجعه قال : أتتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده . قال عمر : إن النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا . فاختلفوا وكثر اللغظ . قال - أي - الرسول : قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع . فخرج ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه ..^(١٨)

فهذه الروايات تكشف لنا أول صور العنف مورست في حضرة الرسول وهو في مرض الموت بزعامة عمر بن الخطاب الذي سب الرسول بقوله ما شأنه أهجر . وهجر في اللغة تعنى أفحش . يقال هجر

(١٨) انظر البخاري كتاب العلم . ومسلم كتاب الرصية . ومسنند أحمد ج ١ / ٣٥٥ ..

الرجل إذ هذى وأهجر إذ أفحش .. (١٩)

وحين جهز الرسول بعث أسامة لغزو الروم عصى كثير من الصحابة أمر الرسول وطعنوا في إمارة أسامة حتى أدى الأمر بالرسول إلى لعن المتخلفين عن الجيش ..

يروى البخارى : استعمل النبي أسامة فقالوا فيه .. فقال النبي قد بلغنى أنكم قلتم فى أسامة وإنه أحب الناس إلى ..

ويروى عن ابن عمر قال ان رسول الله (ص) بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد فطعن الناس فى إمارته فقام رسول الله . فقال : إن تطعنوا فى إمارته فقد كنتم تطعنون فى إمارة أبيه من قبل . وأيم الله إن كان لمن أحب الناس إلى . وإن هذا أى أسامة - لمن أحب الناس إلى بعده ..

ويروى على لسان الرسول (ص) قوله : انفذوا بعث أسامة . انفذوا بعث أسامة لعن الله من تخلف عن بعث أسامة .. (٢٠)

ومن المعروف تاريخياً أن الرسول توفى ولم يخرج بعث أسامة وهذه إشارة إلى أن هناك قوى ليس فى صالحها خروج هذا الجيش الذى كان يضم كبار الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر .. (٢١)

إن المتتبع لسيرة الرسول (ص) يكتشف أن هناك حالات كثيرة من العنف ارتبطت بعده من الصحابة البارزين ولم تكن تلك الحالات تنحصر فى حدود الصحابة وبعضهم أو الصحابة ومخالفيهم أو غير المسلمين بل تعدت ذلك كله لتشمل الرسول نفسه ..

يروى البخارى أن عمر كان يقف بطريق نساء النبي ليلاً وهن خارجات للخلاء لقضاء حوائجهن معترضاً على خروجهن . وقد مرت عليه سودة بنت زمعة زوج النبي فقال لها عمر : عرفناك سودة . عرفناك سودة . فعادت إلى بيتها وشكت إلى النبي .. (٢٢)

ويروى البخارى أن رسول الله (ص) حين هم بالصلاة على عبدالله بن أبى سلول زعيم المنافقين جاء عمر وجذبه من ثوبه قائلاً : أتصلى عليه وقد نهاك ربك ..؟ (٢٣)

كذلك كانت هناك حالات من العنف مورست ضد الامام على فى حياة الرسول من قبل قطاع من الصحابة كانوا يحسدونه على مكانته من رسول الله وقد نزل فيهم قوله تعالى (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ..)

وحسماً لحالة العداء والحسد هذه قال الرسول فى على : أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا

(١٩) انظر شرح هذه الحادثة فى فتح البارى شرح البخارى لابن حجر ج ١٣ / ٢٠٦ ..

(٢٠) انظر تاريخ الطبرى وكتب السيرة ..

(٢١) انظر قصة جيش أسامة فى كتب السيرة والتاريخ . وفتح البارى . وانظر لنا السيف والسياسة

(٢٢) انظر باب خروج النساء للخلاء ..

(٢٣) انظر البخارى كتاب التفسير . قوله تعالى (لا تصلى على أحد منهم مات أبداً ..)

وقد جاء قول الرسول هذا ليجلى الموقف ويضع الحق فى صف على ومن شايعه وهو ما يبرز لنا بوضوح أن هناك جبهة من الصحابة كانت تترصص بعلى تلك الجبهة التى برزت بوضوح بعد وفاة الرسول وكان لها دورها البارز فى عزل الامام على وآل البيت والصحابة الذين يوالونهم ..

- السقيفة وتوابعها

كان ما جرى فى سقيفة بنى ساعدة بعد وفاة الرسول (ص) يعد من أبرز صور العنف التى مارستها الجبهات التى كانت مكبوتة فى حياة الرسول والتى وجدت فرصتها بعد وفاته فى التحرك لتحقيق مآربها ..

ومرة أخرى يبرز عمر فى صورة أكثر عنفاً فى مواجهة خصومه من الصحابة وعلى رأسهم الامام على وأصحابه ..

يروى الثوري عن أخبار السقيفة أن سعد بن عبادة خطب فى الأنصار قائلاً : إن العرب دانت باسيافكم .. استيدوا بهذا الأمر دون الناس فإنه لكم دون الناس .. وبلغ عمر الخبير فذهب إلى أبى بكر فوجده مشغولاً بهذا الأمر فأرسل إليه أنه قد حدث أمر لا بد لك من حضوره . فخرج إليه فقال : أما علمت أن الانصار قد اجتمعت فى سقيفة بنى ساعدة يريدون أن يولى هذا الأمر سعد بن عبادة وأحسنهم مقالة من يقول : منا أمير ومنكم أمير . فخرجا مسرعين نحو السقيفة وجمعا فى طريقهما عدداً من المهاجرين وتنازعوا بين الذهاب أو حسم الأمر بينهم دون الأنصار ثم قرروا الذهاب . قال عمر : والله لتأتينهم ..

وفى السقيفة أرتفعت الأصوات وكثر اللفظ . وهنا أصدر عمر قراره لأبى بكر : ابسط يدك نبايعك . فبسط يده فبايعه وبايعه المهاجرون . وبايعه الأنصار . ثم نزلوا على سعد حتى قال قائلهم : قتلت سعد بن عبادة . فقال عمر : قتل الله سعداً . وأنا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبى بكر إنا خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة . فيما أن نبايعهم على ما نرضى . أو نخالفهم فيكون فشل .. (٢٥)

وهناك روايات أخرى تنص على تصريحات أخرى لآبى بكر وعمر والأنصار كل فى مواجهة الآخر يقول فيها أبو بكر : إن قریشاً أحق الناس بهذا الأمر من بعد الرسول لا ينازعهم ذلك إلا ظالم . ونحن الأمراء وأنتم الوزراء . لا تفتاتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور .. (٢٦)

(٢٤) انظر مسلم . كتاب فضل الانصار ..

(٢٥) نهاية الادب فى فنون الادب . وفتح البارى ج ٧ / ٣٠ . وانظر كتب التاريخ .

(٢٦) انظر مروج الذهب للسعودى والبداية والنهاية لابن كثير والطبرى والكامل لابن الأثير .

أما تصريح الانصار فى مواجهة المهاجرين فقد حمله الحباب بن المنذر بن الجموح فقال : يامعشر الانصار . أملكوا على أيديكم . فإن الناس فى فينكم وفى ظلكم . ولن يجترئ مجترئ على خلافكم . ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم . وأنتم أهل العزة والثروة . وأولوا العدد والتجربة . وذوو البأس والنجدة . وإنما ينظر الناس إلى ماتصنعون . فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم . وتنتقص أموركم فإن أبى هولاء إلا ماسمعتم . فمننا أمير ومنهم أمير .. (٢٧)

وكان رد عمر أكثر عنفاً . قال : هيهات ؟ لا يجتمع إثنان فى قرن . إنه والله لا يرضى العرب أن يؤمروكم ونبيها (ص) من غيركم . ولكن العرب لا تمتنع أن تولى أمورها من كانت النبوة فيهم وولى أمورهم منهم . ولنا بذلك على من أبى من العرب الحججة الظاهرة والسلطان المبين . من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته . ونحن أولياءه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط فى هلكة ..

ورد الحباب على عمر بلغة أشد عنفاً فقال : يامعشر الانصار أملكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر . فإن أبوا عليكم ماسألتهموه . فاجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الامور . فانتهم والله أحق بهذا الأمر منهم . فإنه باسيفكم وإن لهذا الدين من لم يكن يدين ..

ورد عمر : إذن يقتلك الله ..

ورد الحباب : بل إياك يقتل .. (٢٨)

وصاح صوت من المهاجرين (أبو عبيدة) : يا معشر الانصار أنكم أول من نصر وأزر فلا تكونوا أول من بدل وغير (٢٩)

وطالب بشير بن سعد من الانصار قومه بالتخلى عن هذا الأمر لقريش ابتغاء وجه الله . وقال أبو بكر : هذا عمر وأبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا .. (٣٠)

ورجع عمر وأنصاره كفة أبى بكر وقدموه للخلافة وحدث صدام بين الأنصار بسبب مبايعة بعض الانصار له . وتحركت الاوس لمبايعة أبى بكر لتفوت الفرصة على الخزرج بزعامة سعد بن عبادة . ودخلت قوات قبيلة اسلم المدينة وسيطرت على دروبها ومسالكها ولما رآها عمر قال فى فرح : ماهو إلا أن رأيت أسلم . فأيقنت بالنصر .. (٣١)

(٢٧) انظر المراجع السابقة ..

(٢٨) المراجع السابقة ..

(٢٩) المراجع السابقة ..

(٣٠) المراجع السابقة ..

(٣١) المراجع السابقة

ويروى أن الناس أقبلوا من كل جانب يبائعون أبا بكر وكادوا يطشون سعد بن عبادَةَ . وقال ناس من أصحاب سعد : اتقوا سعدا لا تطشوه . وقال عمر : اقتلوه .. اقتلوه .. قتله الله . ثم قام على رأسه فقال : لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضدك .. فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر ثم قال : والله لو حصصت منها شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة .. (٣٢)

ويروى ابن عبد البر : وتخلف عن بيعته سعد بن عباده وطائفة من الخزرج وفرقة من قريش ثم بايعوه بعد غير سعد .. (٣٣)

وكان عمر يحرض أبي بكر على سعد ليجبره على البيعة فقبل له : أنه ليس يبائعكم حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته . فتركوه .. (٣٤)

إلا أنه هناك جانب آخر من قريش كان بعيداً عن السقيفة . وهذا الجانب يملك رصيذاً أقوى من رصيذ قطع أبو بكر وعمر ومن تابعهما وهو جانب الهاشميين بزعامة الامام على الذي كان مشغولاً بتجهيز الرسول ودفنه ..

وتروى الروايات أن عمر هم بإحراق بيت فاطمة الذي كان مقراً للقطاع المعارض لحكم أبي بكر بقيادة الامام على .. (٣٥)

ويروى في نهج البلاغة أن علياً سأل عما حدث في السقيفة فقال : ماذا قالت قريش ؟

قالوا : احتجت قريش بأنها شجرة الرسول فقال على : احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة ..

ويروى الطبري أن علياً أرسل إلى أبي بكر فقال عمر : والله لا تدخل عليهم وحدك

فقال أبو بكر : وما عساهم أن يفعلوا بي .. ؟ والله لآتينهم إلا منفرداً ..

ويروى المسعودي : ولما بوع أبو بكر في يوم السقيفة وجددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج على فقال : أفسدت علينا أمورنا ولم تستشر . ولم ترع لنا حقاً ..

فقال أبو بكر : بلى ولكني خشيت الفتنة ..

وكان للمهاجرين والانصار يوم السقيفة خطب طويل . ومجادبة في الامامة . وخرج سعد بن عبادَةَ ولم يبائع . فصار إلى الشام . فقتل هناك في سنة خمس عشرة . وليس كتابنا هذا موضوعاً لخبار مقتله . ولم يبائع أحد من بنى هاشم حتى ماتت فاطمة . (ع) (٣٧)

(٣٢) المراجع السابقة ..

(٣٣) انظر الاستيعاب في معرفة الاصحاب هامش الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ترجمة أبو بكر ..

(٣٤) انظر مروج الذهب وكتب التاريخ .

(٣٥) انظر تاريخ الطبري

(٣٦) انظر مروج الذهب وكتب التاريخ ..

(٣٧) انظر مروج الذهب وكتب التاريخ ..

ويروى المسعودى عن أبي بكر : لما احتضر قال : ما أسى على شئ إلا على ثلاث فعلتها وددت أنى تركتها . وثلاث تركتها وددت أنى فعلتها . وثلاث وددت أنى سألت رسول الله (ص) عنها : فأما الثلاث التى وددت أنى تركتها : فوددت أنى لم أكن فتشت بيت فاطمة وذكر فى ذلك كلاماً كثيراً . ووددت أنى لم أكن قد حرقت الفجاءة وأطلقته بخيخاً أو قتلته صريحاً .

ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة قذفت الامر فى عنق أحد الرجلين فكان أميراً وكنت وزيراً .
والثلاث التى تركتها ووددت أنى فعلتها : وددت أنى يوم أتيت بالا شعث بن قيس أسيراً ضربت عنقه . فإنه قد خيل لى أنه لا يرى شراً إلا أعانه . ووددت أنى كنت قد قذفت المشرق بعمر بن الخطاب . فكنت قد بسطت يمينى وشمالى فى سبيل الله . ووددت أنى يوم جهزت جيش الردة ورجعت أقمت مكانى فإن سلم المسلمون سلموا . وإن كان غير ذلك كنت صدر اللقاء أو مدداً ..

والثلاث التى وددت أنى سألت رسول الله (ص) عنها . وددت أنى كنت سألته فى من هذا الأمر فلا يتنازع الأمر أهله . ووددت أنى سألته عن ميراث العمة و بنت الاخ فإن بنفسى منها حاجة . ووددت أنى سألته هل للاتصار فى هذا الأمر نصيب فتعطيهم إياه .. (٣٨)

يروى البخارى على لسان عائشة قولها حول أحداث السقيفة : لقد خوف عمر الناس وإن فىهم لنفاقاً فردهم الله بذلك .. (٣٩)

إن ما حدث فى سقيفة بنى ساعدة لا صلة له بالشورى وإنما هو صراع قبلى بين عدة جبهات انتصر فيه الطرف الأقوى ودخل فى صدامات دموية مع المعارضين فيما سمي بحروب الردة وما نعى الزكاة ولقد تسلم عمر السلطة بوصية من أبى بكر دون مشورة من المسلمين مما أدى إلى احتجاج الصحابة الذين صاح بعضهم فى وجه أبو بكر : أتولى علينا فظاً غليظ القلب .. (٤٠)

وقد اعترف عمر قائلاً : ألا أن بيعة أبى بكر كانت فلتة وتى الله الأمة شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه . فأبى رجل بايع من غير مشورة من المسلمين فإنهما تغرة أن يقتلا .. (٤١)

وقد حفلت فترة حكم عمر بكثير من ممارسات العنف فى مواجهة الرعية والولاة والمخالفين لسياسته بشكل عام . فهو قد تجاوز الكثير من النصوص الصريحة حين حرم زواج المتعة ومتعة الحج وأوقف نصيب المؤلفات قلوبهم وتسور البيوت وتجنس على الناس وشاطر العمال أموالهم ورفض تقسيم الأراضى على الفاتحين ورجم الحبلى والمجنونة والمضطرة ورفض أن يورث أحداً من الاعاجم وغير ذلك

(٣٨) انظر المرجع السابق وكتب التاريخ ..

(٣٩) البخارى باب فضل أبى بكر . وانظر فتح البارى شرح البخارى ج ٧ ..

(٤٠) انظر طبقات ابن سعد ج ٢ / ١٩٩ / والطبرى ج ٢ ..

(٤١) انظر فتح البارى ج ٧ باب فضل أبو بكر وعمر وكتب التاريخ ..

من القضايا والممارسات التي تصدى له فيها الامام على .. (٤٢)

وفى عهد عثمان بلغ العنف أشده حين سيطرت العائلة الأموية على زمام الحكم وكثرت المظالم والمفاسد والانحرافات وتصدى الكثير من الصحابة لعثمان وولاته مما دفع به إلى البطش بهؤلاء الصحابة والتنكيل بهم ذلك الأمر الذي ولد ثورة عارمة فى المدينة أدت إلى مصرعه.. (٤٣)

وحين وصل الامام على إلى الحكم كان التيار المعادى له أقوى منه وكانت المؤامرات تتكاثر من حوله مما عرقل خططه الاصلاحية ودفع به إلى الخروج من المدينة واتخاذ الكوفة عاصمة له..

إن الامام على بوصوله للحكم شكل أكبر تهديد لأصحاب المصالح والنفوذ والمنافقين والقبليين . فهو قد وصل إلى الحكم عن طريق الجماهير وكان هذا أول صورة من صور الانتخاب الحر المباشر فى تاريخ الاسلام وهو من جانب آخر يحمل اسلام الرسول الذى يرفع شعار العدل والمساواة والحوار والاعتدال ..

وهو من جهة ثالثة كان ملاذاً للمستضعفين والموالى وأهل الذمة الذين وجدوا فى طرح الامام خلاصهم ونصرتهم والعدل والامن الذى ينشدونه ..

ولقد فتح الامام على باب الحوار مع الجميع وعلى رأسهم خصومه وأعدائه :

فتحه مع الخوارج ..

وفتحه مع عائشة وأصحابها ..

وفتحه مع معاوية ..

وإذا كان الامام على قد استطاع أن يقضى على الخوارج ويستأصلهم وينتصر على عائشة ويطوق فتنتها فإنه لم يتمكن من القضاء على معاوية وحزبه ذلك أن مقتله على يد أحد عناصر الخوارج قد فتح الطريق أمام معاوية ليحقق أحلامه فى السيطرة والحكم ..

وكان معاوية يفتقد إلى الشرعية فى صراعه مع الامام على كما كان يفتقد إلى المكانة الدينية والاجتماعية فلم يكن من الصحابة بل كان من الطلقاء ولم يكن له تاريخ أو دور فى مسيرة الاسلام . فمن ثم وبمجرد أن قتل الامام على لجأ إلى الترغيب والترهيب من أجل إضفاء المشروعية على نفسه ونظام حكمه ..

استخدم العنف مع أصحاب على وشيعته الذين رفضوا الاعتراف به وطاعته .. (٤٤)

(٤٢) انظر سنن البيهقى ج ٣ / ٢٤٥ . والدر المنثور للسيوطى ج ٢ / ١٣٣ . والاستيعاب فى معرفة الاصحاب

هامش الاصابة ج ٣ / ٣٩ . وفتح البارى ج ٣ / ٦٩ . والرياض النضرة ج ٤ / ١٩٤ . والحاكم ج ٢ / ٥٩ ..

(٤٣) انظر سيرة عثمان فى كتب التاريخ . وانظر لنا كتاب السيف والسياسة ومن المعروف أن عثمان قام ببيض أبو ذر

وهو أول نفى فى الاسلام بسبب الرأى . كما أعتدى على ابن مسعود وعمار بن ياسر

(٤٤) مثال ذلك قتله حجر بن عدى وأصحابه فى مرج عذراء لرفضهم التبلى من الامام على. انظر باب شهداء الرأى.

واستخدم الترغيب مع الآخرين وتمكن من استقطاب الكثير من خصوم على ومن عناصر الدرجة الثانية من الصحابة أمثال أبو هريرة وابن عمر والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وغيرهم .. وبواسطة هؤلاء تمكن معاوية من اختراع صورة جديدة للإسلام استمدت شرعيتها من عمل الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان وروايات أبو هريرة وابن عمر وعائشة وغيرهم .. صورة أتاحت له حكم المسلمين وفرض الملكية .. وأتاحت له الخلاص من خصومه .. وأتاحت له عزل الدين عن الحكم والسياسة .. ولأول مرة تظهر في تاريخ الاسلام طبقة الحكام وطبقة الفقهاء .

ثانياً / الفقهاء

نشأت طبقة الفقهاء بمباركة حكام بنى أمية وبنى العباس فمن ثم هي استمدت مشروعيتها منهم وعملت من جانبها على إضفاء المشروعية عليهم .. وقد اعتمد الفقهاء في تأسيس أطروحتهم على الروايات التي جمعت في العصر الأموي والعباسي كما اعتمدوا على أقوال الصحابة ومواقفهم وممارستهم . وبالتالي تبناوا خط العنف الذي تولد من خلال هذه المرحلة وأصبح سمة أطروحتهم ..

تبناوا نهج أبو بكر ومواقفه من مانعي الزكاة والمرتدين وآل البيت .. (٤٥)

وتبناوا نهج عمر ومواقفه .. (٤٦)

ودافعوا عن عثمان وبرروا انحرافات وجعلوه شهيداً .. (٤٧)

وتبناوا معاوية واعتبروه صحابياً مجتهداً فقيهاً وباركوا ولده الفاسق يزيد .. (٤٨)

(٤٥) يبنى الفقهاء رواية أبو بكر التي واجه بها فاطمة حين طالته بمرات أبيها وهي : إنا لا نورث وما تركناه صدقة . وجوزوا ائتمار مانع الزكاة وقتاله وكذلك تارك الصلاة وتجنّبوا خط آل البيت على أساس فعل أبي بكر .. كما تفاوضوا عن تجاوزات حروب الردة ومتكررات خالد بن الوليد الذي قتل مالك بن نويرة المسلم ودخل بزوجه قبل العدة ..

(٤٦) اعتبر عمر مميّزاً على بقية الصحابة حسب الروايات الواردة فيه حيث كان الرحي يتنزل على لسانه وإن الله كتب الحق على قلبه ولسانه كما يروون . وأنه مبشر بالعلم والاجتهاد من قبل الرسول فمن ثم فإن مواقف عمر وممارساته تعد تشريعاً في نظر الفقهاء .. انظر كتابنا نكاح المتعة خلال . وكتابنا الخدعة ..

(٤٧) انظر كتاب العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي وكتب التاريخ . وانظر لنا السيف والسياسة .

(٤٨) يعتبر الفقهاء معاوية كالامام على كلاهما من الصحابة . وكلاهما مغفور له . وهم يضعون معاوية في زمرة فقهاء الصحابة والثابت أن الرسول لم يركبه بل ذمه . انظر فتح الباري ج ٧ باب ذكر معاوية . وانظر لنا السيف والسياسة . وقد اختلف الفقهاء في أمر يزيد فمنهم من هاجمه ومنهم من أوجب لعنه والاكثرية لا يخوضون فيه وهناك من دافع عنه واثى عليه وهم فقهاء الشام وعلى رأسهم ابن كثير وابن تيمية . انظر البداية والنهاية وفتاوى ابن تيمية . والعواصم من القواصم والسيف والسياسة .

وفى الوقت نفسه تجنبوا نهج الامام على وشوهوا صورته .. (٤٩)
أما الروايات التى أختترعت لدعم خط الخلفاء والحكام التى اعتمدوا عليها الفقهاء فى تبني
العنف فهى :

- عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ .. (٥٠)
الناس تبع لقريش ولايزال هذا الأمر - الحكم - فى قريش مايقى منهم اثنان .. (٥١)
على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره .. (٥٢)
تسمع وتطيع للأمر وإن جلد ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع .. (٥٣)
من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية .. (٥٤)
من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان .. (٥٥)
من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه .. (٥٦)
من بدل دينه فاقتلوه .. (٥٧)
من حمل علينا السلاح فليس منا .. (٥٨)

بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له . وجعل رزقى تحت ظل رحمى .
وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم فهو منهم .. (٥٩)

أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله . فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا

(٤٩) يدعى أهل السنة تمسكهم بسنة الخلفاء الراشدين فى حين أنهم يتمسكون بسنة الثلاثة دون على الذى يختلف عن
الثلاثة بل ويصطدم بهم . والفقهاء ساروا فى ركاب بنى أمية وبنى العباسى ولم يسيروا فى ركاب أئمة آل
البيت ابناء الامام على الذين اتبعهم الشيعة . وهناك الكثير من الروايات التى يتبناها الفقهاء وتثقل طعناتى فى
الامام على مثل رواية زواجه من ابنه أبى جهل على فاطمة البخارى كتاب النكاح . ورواية سبه لعنه العباسى
بسبب المال (جسد الترمذى) وانظر لنا كتاب الخدعة . ورواية جهل الامام على بأحكام النجاسات (أبو داود
والترمذى وانظر لنا الخدعة والسيف والسياسة .) ويذكر أن أهل السنة لا يعتبرون الامام على شهيداً بل يبررون
قتله باعتبار أن ابن ملجم قتله منا أولاً

(٥٠) انظر مسند أحمد وأبو داود والترمذى .. أى قتله بمبرر شرعى . انظر المحلى لابن حزم والبيهقى

(٥١) انظر البخارى ومسلم وكتب السنن ..

(٥٢) البخارى ومسلم

(٥٣) رواد مسلم وانظر كتب السنن ..

(٥٤) انظر أبو داود والترمذى والبيهقى والحاكم ..

(٥٥) انظر المراجع السابقة

(٥٦) انظر البخارى وكتب السنن ..

(٥٧) انظر كتب السنن والبخارى ..

(٥٨) انظر أبو داود والترمذى والنسائى ..

(٥٩) مسند أحمد والطبرانى ..

بحق الاسلام .. (٦٠)

من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد .. (٦١)

وعلى أساس هذه الروايات وغيرها قنن الفقهاء فقه العنف في مواجهة المخالفين للخط السائد على المستويين الحركي والفكري ..

فكل رافض لنظام الحكم القائم أصبح مهدداً بفتاوى الاعداد ..

وكل صاحب رأى يخالف نهج الحكام والفقهاء أصبح زنديقاً مرتداً ..

وأصبح السيف هو شعار الاسلام لا الحكمة والموعظة الحسنة ..

يقول ابن رجب الحنبلى : والذي يظهر ان فى القرآن أربعة سيوف :

سيف على المشركين حتى يسلموا أو يؤسروا فيما منأ بعد وإما فداء ..

وسيف على المنافقين وهو سيف الزنادقة ..

وسيف على أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية ..

وسيف على أهل البغى ولم يسلم الرسول (ص) هذا السيف فى حياته .. (٦٢)

وقال النووى : الزنديق هو الذى يعترف بالدين ظاهراً وباطناً لكنه يفسر بعض ما ثبت من الدين ضرورة بخلاف ما فسره الصحابة والتابعون واجمعت عليه الأمة .. (٦٣)

ومثل هذا التفسير لكلمة زنديق الذى صرح به النووى يشمل بالطبع الشيعة والمعتزلة وغيرهم من أصحاب الاتجاهات الذين خالفوا الخط السائد ويلزم الجميع بالتقيد بنهج أهل السنة - نهج الحكم - مثل هذا التفسير هو الذى برر إراقة دماء المئات من المسلمين أصحاب الرأى على مر التاريخ .. (٦٤)

إن أهل السنة يعتبرون أنهم جماعة الحق والفرقة الناجية من النار التى تسير على نهج الرسول فمن ثم تعد الممثل الشرعى الوحيد للاسلام . فمن اتبعها اتبع الاسلام . ومن خالفها خالف الاسلام وكان من الهالكين أصحاب النار .. (٦٥)

وعلى ضوء هذا المفهوم اعتبر أهل السنة كل من خالفهم هو فى حكم المبتدع الضال . ولما كانت القوى الحاكمة تتبنى نهجهم كان من السهل على فقهاء أهل السنة تحريض الحكام على المخالفين

(٦٠) انظر البخارى وكتب السنن ..

(٦١) مسند أحمد والطبرانى ..

(٦٢) الحكم الجديرة بالإذاعة (بعثت بالسيف بين يدي الساعة) لابن رجب الحنبلى ..

(٦٣) المرجع السابق

(٦٤) انظر لنا جرعة الرأى فى تاريخ المسلمين . وأهل السنة شعب الله المختار . والسيف والسياسة ..

(٦٥) انظر كتب العقائد مثل العقيدة الطحاوية والعقيدة الواسطية لابن تيمية وانظر لنا أهل السنة شعب الله

وقتلهم بحجة الزندقة والردة وشق عصا الطاعة وخلافه .. (٦٦)

يقول الشاطبي نقلا عن أحد الفقهاء : إن السواد الأعظم .. الأغلبية .. هم الناجون من الفرق .
فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق ومن خالفهم مات ميتة جاهلية سواء خالفهم فى شئ من
التريعة أو فى إمامهم - الحاكم - وسلطانهم فهو مخالف للحق .. (٦٧)

ويدخل فى الجماعة مجتهدو الأمة وعلماؤها وأهل الشريعة العاملون بها ومن سواهم داخلون فى
حكمتهم لأنهم تابعون لهم ومقتدون بهم . فكل من خرج عن جماعتهم فهم الذين شذوا وهم نهبه
الشیطان .

ويدخل فى هؤلاء جميع أهل البدع لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة لم يدخلوا
فى سواهم بحال.. (٧٠)

ويتحدد مفهوم أهل السنة فى قول أحدهم : هم الذين أجمعوا على السنة وأجمعوا عليها .
واجتمعوا على الحق وعلى أمتهم فجاء أسمهم ووصفهم مركباً من أهل السنة والجماعة . فهم أهل
السنة حقاً الذين نقلوها وحفظوها وتمسكوا بها وهم الجماعة التى عنها الرسول .. (٦٩)

وعلى ضوء ما سبق حدد الفقهاء الخارجون عن مفهوم الجماعة فيما يلى :

- المبتدعة وأصحاب الأهواء والمحدثات فى الدين لعموم قوله (ص) : كل بدعة ضلالة ..

وقوله : لا تجتمع أمتى على ضلالة ..

وقوله : من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد ..

- اتباع الفرق كالتدرية والجهمية والمعتزلة والرافضة والخوارج وما تفرع عنهم . وكالفلاسفة
والمتكلمين والصوفية وأصحاب الطرق ونحوهم ..

- الخارجون على السنة وأهل العلم ..

ويروى على لسان ابن عباس قوله فى تفسير قوله تعالى : (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) آل
عمران (١٠٦)

قال : فأما الذين أبيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة وأما الذين أسودت وجوههم فأهل البدع
والضلالة (٧٠)

(٦٦) انظر باب شهداء الرأى ..

(٦٧) الاعتصام ج ٢ ..

(٦٨) انظر المرجع السابق . وكتاب مفهوم أهل السنة والجماعة لناصر العقل ط القاهرة والسعودية ..

(٦٩) المرجعين السابقين ..

(٧٠) المرجعين السابقين وانظر الشرح والإبانة لابن بطه ..

وسئل سهل بن عبدالله التستري : متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة ؟..

فأجاب : إذا عرف عن نفسه عشرة خصال : لا يترك الجماعة ولا يسب الصحابة ولا يخرج على هذه الأمانة بالسيف ولا يكذب بالقدر ولا يشك في الإيمان ولا يمارى في الدين ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة ولا يترك المسح على الخفين ولا يترك الجماعة خلف كل والٍ جارٍ أو عدل .. (٧١)
ويقول الأشعري : لا يجوز لأحد أن يخرج عن أقاويل السلف فيما اجتمعوا عليه وعما اختلفوا فيه أو فى تأويله لأن الحق لا يجوز أن يخرج عن أقاويلهم .. (٧٢)

ويقول الطحاوى : وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل .. (٧٣)

ويقول ابن حنبل عن الصحابة : لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم . فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه . بل يعاقبه ويستتسيبه فإن تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وجلده فى المجلس حتى يتوب ويرجع .. (٧٤)

ويقول ابن كثير : من ظن بالصحابة ذلك - أى الانحراف بعد الرسول - فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطىء على معاندة الرسول ومضادتهم فى حكمه ونصه . ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ريقة الاسلام من عنقه وكفر بإجماع الأئمة والاعلام وكان إراقة دمه أحل من إراقة المدام .. (٧٥)

ويقول ابن تيمية : جوز طائفة من أصحاب الشافعى وأحمد وغيرهما قتل الداعية إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة وكذلك كثير من أصحاب مالك . وقالوا : إنما جوز مالك وغيره قتل القدرية لأجل الأفساد فى الأرض لا لأجل الردة .. (٧٦)

وقال ابن عبد البر : أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعري ولا تقبل له شهادة فى الاسلام أبداً ويهجر ويؤدب على بدعته فإذا تمادى عليها استتيب منها .. (٧٧)

وقال الشاطبى : أهل السنة مأمورون بعدواة أهل البدع والتشريد بهم والتنكيل بمن انحاش إلى

(٧١) انظر مفهوم أهل السنة والجماعة ..

(٧٢) انظر عقيدة أهل السنة للأشعري المسماة برسالة أهل الثغر ط القاهرة .

(٧٣) انظر العقيدة الطحاوية

(٧٤) انظر السنة وعقيدة أهل السنة . وانظر طبقات الحنابلة ..

(٧٥) البداية والنهاية ج ٥ / ٢٥٢ ..

(٧٦) السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية ..

(٧٧) جامع بيان العلم ..

جهتهم بالقتل فما دونه . وقد حذر العلماء من مصاحبتهم ومجالستهم .. (٧٨)

ويقول ابن القيم : إن هذه الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب إتلافها وإعدامها وهي أولى بذلك من إتلاف آيات اللهو والمعازف وإتلاف آنية الخمر فإن ضررها أعظم من ضرر هذه ولا ضمان فيها كما لا ضمان في كسر أواني الخمر .. (٧٩)

وإذا كان هذا هو موقف الفقهاء من المخالفين في دائرة الاسلام فكيف يكون موقفهم من غير المسلمين

ويقول ابن حنبل : إن من السنة أن تهدم الكنائس التي في الامصار «المدن» القديمة والحديثة (٨٠) وقال الشافعي : ولا يحدثوا بناء يطولون به على بناء المسلمين وأن يفرقوا بين هيئاتهم في المركب والملبس وبين هيئات المسلمين وأن يعقدوا الزنار على أوساطهم .. (٨١)

وقال محمد بن الحسن : لا ينبغي ان تترك في أرض العرب كنيسة ولا بيعة ولا يباع فيها خمر وخنزير مَصْرًا كان أو قرية .. (٨٢)

ويقول ابن تيمية : إن كل كنيسة في مصر والقاهرة والكوفة والبصرة وبغداد ونحوها من الامصار التي مصرها المسلمون بأرض العنوة فإنه يجب إزالتها أما بالهدم أو غيره بحيث لا يبقى لهم معبد في مصر مصره المسلمون بأرض العنوة وسواء كانت تلك المعابد قديمة قبل الفتح أو محدثة لأن القديم منها يجوز أخذه ويجب عند المفسدة .. (٨٣)

ويروي أحمد وأبو داود أن رسول الله (ص) قال : لا تكون قبلتان في بلد واحد ..

ويروي أبو داود عن الرسول (ص) : من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله ..

ويروي أحمد : لا خصاء في الاسلام ولا كنيسة ..

إن مثل هذه النصوص هي التي بنى الفقهاء على أساسها موقفهم من أهل الذمة ذلك الموقف الذي أرتبط بالحكام واعتبر أن أمان أهل الذمة وسلامهم إنما هو يرتبط بوجود الخليفة أو الامام الذي يمنحهم الامان في مقابل دفعهم للجزية في ظل دار الاسلام . وفي حالة دار الحرب حيث لا وجود للامام يصبح أهل الذمة لا أمان لهم ولا عصمة لدمائهم وأسماهم .. (٨٤)

(٧٨) الاعتصام ج ٢ / ١٢٠ و ٢٢٨ ..

(٧٩) الطرق الحكيمة ..

(٨٠) أحكام أهل الذمة لابن القيم ..

(٨٣) المختصر ..

(٨٤) أحكام أهل الذمة .. وانظر مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية . وأرض العنوة يقصد بها الأرض التي فتحت بالسيف .. ومثل هذا الموقف هو الذي اعتمدت عليه التيارات الاسلامية الجهادية في استغلال أموال المسيحيين ودمائهم ..

ولقد تجلّت أبرز صور العنف وأشدّها في دائرة الحنابلة الذين ارتبطت بهم معظم الفتن والصدامات الدموية التي وقعت في تاريخ المسلمين ..

وكان ابن حنبل قد أفتى بكفر تارك الصلاة وعدم دفنه في مقابر المسلمين . كما أفتى بكفر من يقول بأن القرآن مخلوق ..

وقد درنت لنا كتب التاريخ الكثير من الفتن التي وقعت على يد الحنابلة في عام ٣١٧ هـ وعام ٣٢١ هـ وعام ٣٨٩ هـ وعام ٤٧٥ هـ ..

وكان الحنابلة يهاجمون الناس في الاسواق والنساء في الطرقات والفقهاء في المساجد بدعوى مقاومة البدع والمنكرات .. (٨٥)

أما في عصرنا الحالي فقد أغرق فقهاء الوهابية واقع المسلمين بكم هائل من الفتاوى التي أسهمت في نشر العنف وتوطيده فمن تكفير الشيعة والصفوية وتاركو الصلاة وعدم مناكرتهم وأكل طعامهم إلى تكفير الذي يسخر منهم ومن أفكارهم المريضة المتخلفة ..

تقول فتوى وهابية : من استهزأ ببعض المستحبات كالسواك والقميص الذي لا يتجاوز نصف الساق والقبض في الصلاة والترب جالساً ونحوه مما ثبت حكمه بالسنة كفر بذلك لأنه بهذا يكون منتقصاً للرسول (ص) ولشرعه والنقص بذلك كفر أكبر .. (فتوى رقم ٥٢١٣ / لجنة الفتوى بالسعودية)

وتمثل كتب العقائد التي اخترعها أهل السنة مثل كتاب العقيدة الطحاوية والعقيدة النسفية والعقيدة الواسطية والعقيدة الحموية أشد صور العنف والارهاب الفكرى فهذه الكتب تحوى نصوصاً ارهابية تطوق العقل المسلم وترهبه وتكبله بأغلال الماضي (٨٦)

ثالثاً / الحكام

منذ وفاة الرسول (ص) وحتى اليوم لعب الحكام دوراً بارزاً في دعم العنف وتوطينه بين المسلمين بطرق مباشرة وغير مباشرة ..

وكانت الصورة القبلية للحكم التي فرضها الخلفاء الثلاثة : أبو بكر وعمر وعثمان على الأمة هي التي تولدت منها كل صور العنف التي واكبت تاريخ المسلمين وهي الصورة التي اعتمد عليها الفقهاء

(٨٥) وهذا الموقف عليه جمهور الفقهاء أيضاً . انظر كتب الفقه . أما مسألة كفر القائل بأن القرآن مخلوق فقد تفرد بها ابن حنبل لكونه أذى بسببها من قبل المأمون الذي وقف بجانب المعتزلة الذين يقولون بأن القرآن مخلوق .. انظر ترجمة ابن حنبل في تاريخ الإسلام للذهبي .. وانظر تاريخ الخلفاء للسيوطي والكامل لابن الأثير حوادث عام ٣٢١ هـ . وتاريخ الإسلام للذهبي حوادث عام ٣٩٨ هـ وكان الحنابلة يهاجمون أحياء الشيعة ومتاجرهم ويحرقونها وقد أصدر صاحب الشرطة قراراً حينئذ بالتفريق بين الحنابلة وعدم مرورهم جماعات في الطرقات .. (٨٦) أنظر لنا أهل السنة شعب الله المختار . وكتاب العقل المسلم بين أغلال السلف وأوهام الخلف ..

فى تقنين العنف وإضفاء المشروعية عليه فقد أصبحت مواقف وممارسات الخلفاء الثلاثة سنة يعرض عليها بالتواجد كما أشار الحديث المنسوب للرسول الذى ذكرناه سابقاً ..

ولقد كان معاوية أول من سن قطع الرقاب فى الاسلام

وأول من سن نهج الدعاية والتعتيم على خصومة ومعارضيه

وأول من فرض السب واللعن على المناير بسبه الامام وتشويه آل البيت

وكل هذه الممارسات التى أعانها عليها كثير من الصحابة الذين تحالفوا معه - تعدد أشد صور العنف الحركى والفكرى عبر تاريخ المسلمين والتى التزم بها الحكام من بعده ووجدوا من الفقهاء العون والشرعية ..

ومعاوية إنما هو صناعة عمر بن الخطاب فهو الذى باركه ووطنه فى الشام على الرغم من معرفته التامة به وكونه من الطلقاء وليس له باع فى الاسلام ومطامعه لاتخفى .. (٨٧)

وجاء يزيد الذى فرضه معاوية على الأمة وباركه الفقهاء والصحابة حلفاء معاوية فارتكب من المفاسد والمذابح الوحشية ما يعجز القلم عن وصفه .. (٨٨)

ثم جاء من بعده بنو مروان فأعملوا السيف فى الأمة وقتلوا أصحاب الرأى واضطهدوا الموالى وغير المسلمين وتحولوا إلى جباة يكتزون الأموال بالسيوف ..

وبرز الحجاج من وسطهم فارتكب من المذابح ماتقشعر له الأبدان حتى أصبح وصمة عار فى تاريخ المسلمين دفعت ببعض الفقهاء إلى تكفيره ..

وقد حاول عمر بن عبد العزيز أن يصلح ما أفسده سابقوه ويضع الحق فى نصابه ويرد المظالم ويمنع العنف إلا أن القدر لم يمهله فمات بعد فترة قصيرة من توليه الحكم ودارت دائرة العنف بالمسلمين من جديد ..

ولقد جاء العباسيون من بعد - وهم الذين جمعت الروايات وقتن الفقه فى عصرهم - فساروا على نهج الأمويين فى ممارسة العنف على الرعية والبطش بالمخالفين واستئصال خط آل البيت وقتل أئمتد ومن تشيع لهم . وقد كان العباسيون أشد عنفاً ويطشاً بالشيعة من الأمويين وهو ما تشهد به كتب التاريخ ..

وليس من السهل تتبع ممارسات العنف التى ارتبطت بالحكام على مر التاريخ فهى أكثر من أن

(٨٧) أنظر كتابنا السيف والسياسة . وانظر ترجمة معاوية فى كتاب الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ..
(٨٨) انظر كتابنا السيف والسياسة . وانظر ترجمة معاوية فى الاصابة فى تمييز الصحابة وكتب التاريخ . وكان عمر قد منع نصيب المؤلفة قلوبهم من الزكاة وبالتالي ارتفع معاوية وأبيه اللذين كانا يحصلان على نصيب من الزكاة ضمن المؤلفة الذين أطلقهم الرسول (ص) بعد فتح مكة .. ارتفعا إلى مرتبة المسلمين . وكان عمر قد زار الشام ورأى معاوية فى أبهة الملك فلم ينكر عليه . انظر تاريخ الخلفاء

تحصى إلا أن ممارسات دولة الأيوبيين ودولة المماليك تم دولة العثمانيين تحتاج إلى وقفات لا يتسع لها هذا المجال ..

فحين استولى صلاح الدين على مصر ذبح آلاف الشيعة وارتكب الكثير من المجازر الدموية وفرض على مصر مذهب الشافعى فى الفقه والاشعرى فى الاعتقاد .. (٨٩)

ويفتوى لابن تيمية أباد المماليك أهل كراوان عن بكرة أبيهم بحجة فساد عقائدهم وتعاونهم مع الصليبين .. (٩٠)

وعلى أبواب القاهرة ذبح العثمانيون آلاف المصريين حين دخلوها بعد انتصارهم على المماليك وأخذ سليم الاول الصناع والحرفيين أسارى إلى بلاده .. (٩١)

وفى العصر الحديث ارتكبت الدولة السعودية عشرات المذابح تحت لواء الدعوة الوهابية وبحجة نشر التوحيد والقضاء على الشرك .. (٩٢)

لقد بعثت الدولة السعودية فكر الحنابلة وفتنهم بداية من ابن حنبل حتى ابن تيمية ذلك الفكر الذى حمل لوائه محمد بن عبد الوهاب وتم فرضه على المسلمين فى جزيرة العرب بقوة السيف وفرضه على المسلمين خارجها بقوة النفط .. (٩٣)

وكان نتيجة الاختراق النفطى للمؤسسات والتيارات الاسلامية أن تشبعت الحركات الاسلامية بفكر الحنابلة خاصة فكر ابن تيمية متبينة نهج العنف الفكرى والحركى الذى يتميز به هذا الفكر

(٨٩) انظر تفاصيل مذبحه كربلاء فى كتب التاريخ . ووقعة الحرة بعد ها حين عصت المدينة يزيد فغزاه جيشه واستباحها ثلاثة أيام وقتل الشيوخ والصبيان وحملت ألف امرأة سفاحاً

(٩٠) انظر تاريخ المقرئى وبدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن إياس ووفيات الاعيان لابن خلكان والكامل والنجوم الزاهرة ترجمة العاضد آخر خلفاء الفاطميين واستيلاء صلاح الدين على حكم مصر بعد أن غدر بالعاضد وأحداث عام ٥٦٧ هـ وثورات المصريين الشيعة ضد صلاح الدين وإحراقه نفائس الكتب فى دار الحكمة وإغلاقه جامع الأزهر وإعدامه الشاعر عمارة اليمنى . وقد أعرب الكثير من فقهاء السنة عن فرحتهم بسقوط الدولة الفاطمية الشيعة وهلاك الشيعة فى مصر وأعربوا عن تأييدهم لصلاح الدين ومباركتهم له . وألف القاضى بهاء الدين الشافعى كتاباً أسماه (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) وألف السيوطى كتاباً أسماه (كشف ما كان عليه بنو عبيد - الفاطميين - من الكفر والكذب والمكر والكيد . وألف ابن الجوزى كتاباً أسماه (النصر على مصر) ويذكر أن السيوطى رفض ان يؤرخ للفاطميين فى كتابه تاريخ الخلفاء . انظر كتابنا الشيعة فى مصر من الإمام على حتى الامام الخمينى ..

(٩١) انظر أحداث عام ٧٠٥ هـ فى كتب التاريخ . ويذكر أن منطقة كسروان تحولت إلى منطقة مسيحية منذ ذلك الحين فى جبل لبنان ..

(٩٢) انظر تفاصيل الغزو العثمانى لمصر فى تاريخ المقرئى ..

(٩٣) انظر تاريخ الدعوة الوهابية ومذاهب العلماء والإشراف فى الحجاز وقد كفرت الدعوة الوهابية المسلمين وأباحت دمايتهم وأموالهم خاصة الصوفية والشيعة الذين يتبنون مسألة التوسل بالأموات من آل البيت والأضرحة والاحتفالات الدينية التى تعد صورة من صور الشرك والزندقة فى نظر الروهابيين الحنابلة . انظر لنا كتاب فقهاء النفط . وانظر كشف الارتباب فى اتباع محمد بن عبد الوهاب والوهابية فى الميزان ..

وبالتالى بدأت تطبيقات هذه الحركات ومواقفها وممارساتها تتحول إلى نسخة عصرية من فتن الحنابلة فى بعداد وغيرها .. (٩٤)

إن تبنى الحكام نهج العنف فى مواجهة الاتجاهات الاسلامية المخالفة على مستوى الماضى والحاضر وتحالف الفقهاء معهم قد دفع هذه الاتجاهات دفعاً نحو العنف وأسهم فى ولادة الكثير من التيارات الجهادية والتكفيرية التى رفعت شعارات دموية واستحلالية فى مواجهة المجتمع ..

من هنا يمكن القول أن مسئولية نساء العنف فى تاريخ المسلمين إنما يتحملها الحكام أولاً ثم الفقهاء - تانياً . مع الإشارة إلى أن حكام العصر لازالوا يلعبون نفس الدور الذى كان يلعبه حكام الماضى وكذلك الفقهاء . فمن ثم فإن مشكلة العنف لا يمكن حلها دون أن تعيد الحكومات المعاصرة النظر فى سياساتها تجاه التيار الاسلامى والرأى الآخر بشكل عام . ودون أن يتخلى الفقهاء عن موروثات الماضى وتحالفهم مع هذه الحكومات ..

ومما سبق نخرج بالنتائج التالية :

إن مسألة العنف تبعث من خلال خمسة أمور :

١ - الخلفاء الثلاثة ..

٢ - الروايات ..

٣ - الفقهاء ..

٤ - الحكام ..

٥ - رد الفعل ..

وإن معالجة مسألة العنف لن يتحقق دون معالجة هذه الأمور



(٩٤) انتشرت الكتب الوهابية بين المسلمين فى كل بقاع العالم الإسلامى بفضل السعودية التى تدعم هذه الكتب وتوزعها مجاناً وقد أسهمت هذه الكتب فى إحياء الخط الحنبلى خاصة خط ابن تيمية المتشدد ذلك الخط الذى تستمد منه الدعوة الوهابية أفكارها وتصورها . وطبعت فتاوى ابن تيمية (٣٧) جزء على نفقة خادم الحرمين وتوزع مجاناً .. وكان لهذه الكتب الدور الأكبر فى نمو العنف بين المسلمين وبروز تيارات الجهاد والتكفير وغيرها . وبذكر أن محمد عبد السلام صاحب كتاب الفريضة الغائبة الذى دبر اغتيال السادات قد استمد أفكاره الجهادية من ابن تيمية والحنابلة الذين اكتظت كتابه بأفكارهم .. انظر لنا الحركة الإسلامية فى مصر وانظر أهل السنة تعجب الله المختار .

سلاح الرواية

عماد الحكام والفقهاء ..

يعتمد خصوم الرأى على مر تاريخ المسلمين على الرواية كسند شرعى فى مواجهة أصحاب الرأى الذين كانت لديهم القدرة على المناورة والدفاع عن رأيهم وأطروحتهم فى حدود النص القرآنى . أما فى مواجهة الرواية فقد عدت هذه القدرة لصراحة هذه الروايات وقطعيتها ..

ولقد ظلت الرواية سند الحكام والفقهاء فى مواجهة الرأى والتيارات المعارضة التى ذهبت هى وعناصرها ضحية لهذه الروايات ..

من هنا فإن قضية الصراع بين الرأى والنص لن يتم حسمها فى ظل الروايات التى لا تتيح فرصة للرأى الآخر وبدا وكأنها اخترعت لهذا الغرض ...

إن الأصل فى الروايات المناهضة للرأى أنها اخترعت من قبل جهة محددة أو تيار واحد هو ذلك التيار الذى ساد واقع المسلمين منذ وفاة الرسول (ص) . فمن ثم فإن هذه الروايات إنما وجدت لخدمة هذا التيار ودعمه وإضفاء المشروعية عليه وإذا كان هذا هو السبب المباشر لاختراع هذه الروايات فمن الطبيعى أن تكون مناهضة للآخرين وتسد جميع النوافذ فى وجوههم ..

وهذا ما يبدو بوضوح من خلال رصد حركة مناهضة الرأى والتيارات الأخرى على مر التاريخ . أن المواجهة كانت تقوم على أساس هذه الروايات وإن من سقطوا صرعى بسيف الحكام وفتاوى الفقهاء إنما استبيحت دماؤهم على أساسها ..

وما يبدو بوضوح أيضاً أن القرآن نحى جانباً فى خلال تلك الفترة وطغت عليه الروايات وأصبح لا وجود هناك للرأى الآخر الذى يتسلح بكتاب الله والعقل والرواية الصحيحة التى لا تصطدم بهما والتى ضربت هى أيضاً خوفاً من التشويش والبلبلة وتعرية الخط السائد ..

إن المعروف تاريخياً إن هناك خطان بارزان كانا فى حياة الرسول (ص) :

الأول خط المنافقين والقبليين ..

الثاني خط الصحابة والمؤمنين .

ولقد ساد الخط الأول بعد وفاة الرسول وتم ضرب الخط الثاني وصدر قرار بمنع تداول الروايات طوال فترة الخلفاء الثلاثة وكان الهدف من ذلك هو حجب الرؤية عن الأجيال الجديدة من التابعين وغيرهم ممن لم يعاصر الرسول إلا فترة وجيزة لم تتح له فرصة هضم حقيقة هذا الدين وأبعاده ..

وجاء عثمان فاصدر قراره بحرق المصاحف التي فى أيدي الصحابة من أجل تطويق الرأي الآخر وضربه إذ أن هذه المصاحف التي أحرقت كانت تحوى علم الرسول وتفسيره لنصوص القرآن حسماً للفتنة والخلاف . وبإحراقها تم إلزام الأمة بأقوال الرجال ورواياتهم التي حلت محل علم الرسول من أولئك الذين سايروا هذا الوضع وباركوه صحابة وتابعين

وفترة الخلفاء من الفترات التي كان يصعب فيها تزوير الروايات باسم الرسول (ص) لأن كبار الصحابة وقادة الخط المضروب كانوا على قيد الحياة وعلى رأسهم الإمام على . فمن ثم فإن التزوير والتحريف بدأ مع عصر عثمان وأخذ وضعه على يد معاوية فيما بعد - ولعل - هذا يكشف لنا الهدف من وراء منع الخلفاء الثلاثة تداول الرواية فى عصرهم ..

- السند والرأى ..

وان المتتبع لتاريخ الروايات وأسانيدها يتبين له أن هذه الروايات واهية من جهة المتن ومن جهة السند . وكان يمكن لها أن تندثر ولا يكون لها وجود لو قدر لها أن تدخل فى معركة عادلة مع خصومها . إلا أن مساندة القوى الحاكمة لها بالإضافة إلى الفقهاء الذين ساروا فى ركابها هو الذى مكن لها ومنحها الديمومة والانتشار وسوف نعرض هنا لثماذج من نصوص فقهاء الرواية أو من يطلق عليهم علماء الحديث حول سند الرواية وصلاحيته لسلسلة الرواية كى تتضح لنا الصورة ويظهر لنا مدى تحيز هؤلاء الفقهاء لتيار محدد من الرواية وعزل ما سواه عن عالم الرواية خدمة للخط السائد ..

يقول ابن حنبل : لا أروى عن أهل الرأى .. (١)

وحاء فى ترجمة محمد بن عبدالله بن المثنى الانصارى قول ابن حجر : من قداماء شيوخ البخارى . ثقة وثقة ابن معين وغيره . قال أحمد ما يضعه عند أهل الحديث إلا النظر فى الرأى .. (٢)

وفى ترجمة الوليد بن كشير المخزومى يقول ابن حجر : وثقة إبراهيم بن سعد وابن معين وأبو داود وقال الساجى : قد كان ثقة ثبتاً يحتج بحديثه . لم يضعفه أحد إنما عابوا عليه الرأى .. (٣)

(١) انظر الرفع والتكميل فى الجرح والتعديل ص ٨٤ نقلاً عن المغنى للذهبي ج ٢ ٦٧٠ ..

(٢) هدى السارى مقدمة فتح البارى شرح البخارى لابن حجر وانظر الرفع والتكميل ص ٨٤ ..

(٣) المرجع السابق وانظر الرفع ص ٨٤

وقال الذهبي عن معلى بن منصور الرازي : أمام مشهور موثق . قال أبو داود : كان أحمد لا يروى عنه للرأى .. (٤)

وجاء عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قوله : أصحاب الرأى لا يروى عنهم الحديث .. (٥)

وقال القاضي أبي يعلى : وهذا محمول على أهل الرأى من المتكلمين كالتقديرية ونحوهم (٦)

وقال جمال الدين القاسمي : وقد تجافى أرباب الصحاح الرواية عن أهل الرأى . فلا تكاد تجد اسماً لهم في سند من كتب الصحاح أو المسانيد أو السنن كالإمام أبي يوسف والإمام محمد بن الحسن فقد لينهما أهل الحديث كما ترى في (ميزان الاعتدال) ولعمري لم ينصفوهما وهما البحران الزاخران . وآثارهما تشهد بسعة علمهما وتبحرهما بل يتقدمهما على كثير من الحفاظ وناهيك كتاب (الخراج) لأبي يوسف (وموطأ الإمام محمد) وإن كنت أعد ذلك في البعض تعصباً . إذ يرى المنصف عند هذا البعض من العلم والفقهاء ما يجدر أن يتحمل عنه ويستفاد من عقله وعلمه . ولكن العصبية ولقد وجد لبعض المحدثين تراجم لأئمة أهل الرأى يخجل المرء من قراءتها . فضلاً عن تدوينها . وما السبب إلا تخالف المشرب . على توهم التخالف ورفض النظر في المآخذ والمدرارك التي قد يكون معهم الحق في الذهاب إليها . فإن الحق يستحيل أن يكون وقفاً على قشة معينة دون غيرها . والمنصف من دقق في المدارك غاية التدقيق ثم حكم ..

نعم كان ولع جامعي السنة بمن طوف البلاد واشتهر بالحفظ والتخصص بعلم السنة وجمعها وعلماء الرأى لم يشتهروا بذلك وقد أشيع عنهم أنهم يحكمون الرأى في الأثر وإن كان لهم مرويات مسندة معروفة .. (٧)

ويروى عن ابن حنبل قوله : مازلنا نلعن أهل الرأى ويلعنوننا حتى جاء الشافعي .. (٨)

وقال الذهبي في ترجمة الحارث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ) : المحابي العارف صاحب التصانيف التأليف صدوق في نفسه . وقد نقموا عليه بعض تصوفه وتصانيفه .. (٩)

ونقل الخطيب البغدادي عن المحاسبي أيضاً : أن أبازرعة الرازي سئل عن الحارث وكتبه . فقال للسائل : إياك وهذه الكتب . هذه كتب بدع وضلالات . عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يفنيك عن هذه الكتب .. (١٠)

(٤) الرفع ص ٨٤ نقلاً عن المغنى .. وانظر تهذيب لابن حجر ١٠ / ٢٣٨ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ / ٣٧٧

(٥) مسودة ابن تيمية في أصول الفقه ص ٢٦٥ وانظر الرفع ص ٨٤ .

(٦) المرجع السابق ..

(٧) الجرح والتعديل ص ٢٤ . وميزان الاعتدال كتاب خاص برجال الاسانيد للذهبي . وموطأ الإمام محمد هو مرطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني ..

(٨) انظر الرفع والتكميل في الجرح والتعديل ص ٨٨

(٩) ميزان الاعتدال ج ١ / ١٩٩ ..

(١٠) تاريخ بغداد ج ٨ / ٢١٥ .. والأثر هنا يعنى الروايات ..

ويقول مسلم : فأما ما كان منها - أى الروايات - عن قوم هم عند أهل الحديث متهمون أو عند الأكثر منهم فلسنا نتشاغل بتخريج حديثهم كمحمد بن سعيد المصلوب وعبد القدوس الشامي وغيث بن إبراهيم وسليمان بن عمر وعبدالله بن مور وعمرو بن خالد .. (١١)

ويقول : والواجب أن يتقى منها ما كان منها عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع .. (١٢)

ويقول النووي على لسان المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول : المبتدع الذى يكفر ببدعته لا تقبل روايته بالاتفاق وأما الذى لا يكفر بها فاختلفوا فى روايته . فمنهم من ردها مطلقاً لفسقه ولا ينفعه التأويل . ومنهم من قبلها مطلقاً إذا لم يكن ممن يستحل الكذب فى نصره مذهب أو لأهل مذهبه سواء كان داعية إلى بدعته أو غير داعية .. ومنهم من قال تقبل إذ لم يكن داعية إلى بدعته ولا تقبل إذا كان داعية وهذا مذهب كثيرين .. (١٣)

ويروى مسلم عن شيعة على ابن أبى طالب عن أبى اسحق قال : لما حدثوا تلك الأشياء بعد على قال رجل من أصحاب على قاتلهم الله أى علم أفسدوا .. (١٤)

ويعلق النووي على هذه الرواية بقوله : أشار بذلك إلى ما أدخلته الروافض والشيعة فى علم على وحديثه وتقولوه عليه من الأباطيل وأضافوه إليه من الروايات والأقاويل المفتعلة والمختلقة وخلطوه بالحق فلم يتميز ما هو صحيح عنه مما اختلقوه . وأما قوله قاتلهم الله قال القاضى : معناه لعنهم الله وقيل باعدهم وقيل قتلهم .. (١٥)

وهذه الرواية بالإضافة إلى تبرير وتأويل النووى والقاضى الهدف منها ضرب خط الإمام على والطعن فى شيعته ورواياتهم ..

ويروى مسلم عن ابن سيرين قوله : لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا : سما لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم .. (١٦)

ويروى مسلم عن عبدالله بن المبارك قوله على رؤوس الناس دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف .. (١٧)

ويحدد لنا ابن حجر الاتجاهات المنبوذة من قبل رواة الأحاديث والفقهاء وهى منبوذة أيضاً من قبل الحكام وهؤلاء جميعهم قد ضعفوا بسبب آرائهم ومعتقداتهم : المرجئة والأرجاء بمعنى التأخير وهو

(١١) مسلم بشرح النووى . المقدمة ..

(١٢) المرجع السابق ..

(١٣) المرجع السابق .

(١٤) المرجع السابق ..

(١٥) المرجع السابق ..

(١٦) المرجع السابق ..

(١٧) المرجع السابق ..

عندهم على قسمين : منهم من أراد به تأخير القول في الحكم في تصويب إحدى الطائفتين الذين تقاتلوا بعد عثمان . ومنهم من أراد به تأخير القول في الحكم على من أتى الكبائر وترك الفرائض بالنار لأن الإيمان عندهم الإقرار والاعتقاد ولا يضر العمل مع ذلك . والتشيع محبة على وتقديمه على الصحابة فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه . ويطلق عليه رافضى . وإلا فشيعى فإن انضاف إلى ذلك السب أو التصريح بالبغيض فغال في الرفض وإن أعتقد الرجعة في الدنيا فأشد في الغلو . والقدرية من يزعم أن الشر فعل العبد وحده . والجهمية من ينفي صفات الله تعالى التي أثبتتها في الكتابة والسنة . ويقول أن القرآن مخلوق . والنصب بغض على وتقديم غيره عليه . والخوارج الذين انكروا على علي التحكيم وتبرءوا منه ومن عثمان وذريته وقتلوهم فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة منهم . والاباضية أتباع عبد الله بن إباح والقعدية الذين يزينون الخروج على الأئمة ولا يباشرون ذلك . والواقف في القرآن من لا يقول مخلوق ولا ليس بمخلوق .. (١٨)

وينبئ لنا من خلال كلام ابن حجر أن هناك تسعة اتجاهات منبوذة من قبل الخط السائد المسمى بأهل السنة وهي :

المرجئة ، الشيعة .. (١٩) ، القدرية .. (٢٠) ، الجهمية (٢١) ، النواصب .. (٢٢) الخوارج .. (٢٣) ، الاباضية .. (٢٤) ، القعدية .. (٢٥) ، الواقفية .. (٢٦)

(١٨) هدى السارى . فصل في تميز أسباب الطعن ومن يصلح للاحتجاج به ومن لا يصلح ومن ضعف بسبب الاعتقاد .. (١٩) هذا التعريف الذى نطق به ابن حجر بخصوص الشيعة فيه قصور وهويكس نظرة أهل السنة الاحادية والمعادية للآخرين والشيعة لا يختلفون حول أحقية على بالإمامة وتقديمه على الخلفاء الثلاثة وكونه وصى الرسول (ص) .. (٢٠) أهل السنة كما هو واضح من معتقداتهم ينسبون الشر إلى الله فمن ثم اعتبروا القدرية أهل زيغ وبدعة لانحرافهم عن عقائدهم . انظر مقالات الإسلاميين للأشعري وكتب العقائد .. (٢١) ينسب هذا الاتجاه إلى الجهم بن صفوان الذى نادى بتحكيم العقل فى الروايات الخاصة بصفات الله وضرورة تأويلها أو رفضها . انظر باب شهداء الرأى . (٢٢) رغم تبنى أهل السنة هذا الرأى بخصوص خصوم على وآل البيت فإن حالهم وعقائدهم ورواياتهم تنطق بعكس ذلك ويكفى مناصرتهم لمعاوية وولده يزيد .. (٢٣) أهل السنة لم يعادوا الخوارج لكونهم خرجوا على على وإنما يعادونهم لمناذرتهم عثمان ومعاوية وبني أمية وتبنيهم فكرة الخروج على الحكام المنبوذة من قبلهم . وقد روى البخارى وكتب السنة لكثير من الخوارج . انظر هدى السارى ..

(٢٤) هى فرقة من فرق الخوارج ولايزال لها وجود حتى اليوم وتمثل الاتجاه السائد فى عمان ومسقط اليوم .. (٢٥) موقوف أهل السنة من هذا الاتجاه ينبع من معاداتهم لفكرة الخروج على الحكام على أساس روايات الطاعة والاستسلام التى يتبنونها والتى أصبحت جزءاً من عقيدتهم انظر كتب العقائد لدى أهل السنة مثل العقيدة الطحاوية والعقيدة الواسطية ..

(٢٦) وهذا الاتجاه منشق على المعتزلة . وما ينبغى ذكره هنا هو أن هذه التقسيمات والاتجاهات قد برزت فى مواجهة الخنابلة الذين رفعوا راية الروايات وسموا أنفسهم أهل الحديث واعتبروا أنفسهم الفرقة الناجية وهم أول من أعلن الحرب على المعتزلة والواقفية بسبب فكرة خلق القرآن التى يرفضها ابن حنبل بشدة ويكفر من يقول بها وقد شمل هذا الحكم الواقفية أيضاً .. انظر الرد على الجهمية والزنادقة لابن حنبل ط السعودية . وعقيدة أهل السنة له أيضاً .. وأنظر لنا كتاب أهل السنة شعب الله المختار ..

والمعتزلة وهو الاتجاه الذى لم يشر إليه ابن حجر مشمول فى داخل هذه الاتجاهات التى تتبنى الكثير من مواقفه وعلى رأسها تحكيم العقل فى الروايات والقول بخلق القرآن ونقد بعض الصحابة . فمن ثم هى ينطبق عليها نفس حكمهم ..

ويقول ابن حجر عن ثور بن زيد الدبلى مولاهم المدنى شيخ مالك وثقة ابن معين وأبو زرعة والنسائى وغيرهم وقال ابن عبد البر صدوق لم يتهمه أحد وكان ينسب إلى رأى الخوارج والقول بالقدر ولم يكن يدعو إلى شئ من ذلك .

وفى الميزان للذهبي اتهمه ابن البرقى بالقدر ولعله شبه عليه بشور بن يزيد . قلت - أى ابن حجر - لم يتهمه ابن البرقى ولم يشتبهه عليه وأما حكى عن مالك أنه سئل كيف رويت عن داود بن الحسين وثور بن زيد وذكر غيرهما وكانوا يرون القدر . فقال : كانوا لأن يخروا من السماء إلى الأرض أسهل عليهم من أن يكذبوا .. (٢٧)

وهذا الكلام إنما يؤكد لنا أن القوم من أصحاب الاتجاه السائد إنما حصنوا أنفسهم بستر من حديد كى لا ينفذ إلى عالمهم أى من أصحاب الرأى أو الاتجاهات الأخرى ويروى عنهم مالا يريدون .

وعن ثور بن يزيد الحمصى ينقل ابن حجر : اتفقوا على تثبته فى الحديث مع قوله بالقدر قال دحيم ما رأيت أحداً يشك أنه قدرى . وقال يحيى القطان ما رأيت شامياً أثبت منه وكان الأوزاعى وابن المبارك وغيرهما يهونون عن الكتابة عنه . وكان الثورى يقول خذوا عنه واتقوا لا ينطحكم بقرنية يحذرهم من رأيه وقدم المدينة فنهى مالك عن مجالسته .. (٢٨)

وعن خالد بن مخلد القطوانى الكوفى أبو الهيثم من كبار شيوخ البخارى . قال العجلي : ثقة فيه تشيع . وقال ابن سعد : كان متشيعاً مفرطاً وقال صالح جزرة ثقة إلا أنه كان متهماً بالفلو فى التشيع . وقال أحمد ابن حنبل : له تناكير . وقال أبو داود : صدوق إلا أنه يتشيع . وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به .. (٢٩)

وعن داود بن الحصين المدنى قال الساجى : منكر الحديث متهم برأى الخوارج .. (٣٠)

وعن ذر بن عبدالله الموهبى أبو عمرو الكوفى قال أبو داود كان مرجئاً وهجره إبراهيم النخعى وسعيد بن الجبير لذلك .. (٣١)

وعن زكريا بن اسحق المكى قال يحيى بن معين كان يرى القدر وأخبرنا روح بن عبادة قال : رأيت

(٢٧) هدى السارى . الفصل التاسع فى سياق أسماء من طعن فيه من رجال البخارى .. حرف التاء

(٢٨) المرجع السابق حرف التاء .

(٢٩) المرجع السابق حرف الخاء .

(٣٠) المرجع السابق حرف الدال .

(٣١) المرجع السابق حرف الذال .

منادياً ينادى بمكة أن الأمير نهى عن مجالسة زكريا لأجل القدر .. (٢٢)

وعن سعيد بن عمرو بن أشوع الكوفى عن الفقهاء قال فيه أبو اسحق الجوزجاني كان زائفاً غالباً
فى التشيع .. (٢٣)

وعن سلام بن مسكين الأزدي البصرى قال أبو داود : كان يذهب إلى القدر .. (٢٤)

وعن شبابة بن سوار أبو عمرو المدائنى قال أحمد بن حنبل : كتبت عنه شيئاً يسيراً قبل أن
أعلم أنه يقول بالارجاء . وقال ابن عدى : أفما ذمه الناس للارجاء وقالوا يكتب حديثه ولا
يحتج به .. (٢٥)

المتن والرأى ..

ومثلما وقف الفقهاء فى مواجهة أصحاب الرأى والاتجاهات : الأخرى وعزلوهم عن الرواية والنقل
اتخذوا نفس الموقف فى مواجهة متون الروايات . فهم قد حظروا أى صورة من صور النقد حول هذه
المتون . وبالطبع هذا الحظر إنما هو موجه إلى من هم خارج دائرة الخط السائد من الاتجاهات الأخرى إذ
أن النقد أو الشك لن يأتى بحال من داخل التيار السائد ..

لقد أدرك الفقهاء أن فتح باب نقد الروايات سوف تكون نتيجته المحتممة هى هدم هذه الروايات
وزوالها ..

من هنا فقد تم اختراع عدة قواعد بهدف تحصيل الروايات وإبعادها عن دائرة الشك :

القاعدة الأولى : عدالة جميع الصحابة . فمن ثبتت صحبته ثبتت عدالته فلا يجوز تجريحه أو
الشك فى نقله وإنما يتجه النقد والتجريح للناقل عنه من التابعين أو تابعى التابعين . وفى كلتا
الحالتين : إذا اختلف فى صحبة الراوى وحاصر الشك الناقل عنه لا يجوز أن يتجه النقد إلى متن
الرواية .. (٢٦)

القاعدة الثانية : ان نقد الرواية ينحصر فى حدود السند فقط ولا يجوز أن يمتد إلى المتن بحال حتى
ولو كان يصطدم بالقرآن والعقل صراحة .. (٢٧)

القاعدة الثالثة : ان ضرب الاتجاهات الأخرى أفسح الطريق أمام أهل السنة كى يسودوا وينتشروا

(٢٢) المرجع السابق حرف الزين .

(٢٣) المرجع السابق حرف السين .

(٢٤) المرجع السابق

(٢٥) المرجع السابق حرف الشين .

(٢٦) يعتبر أهل السنة كل من رأى الرسول أو ولد فى حياته أو مكث معه ولو ساعة هو صحابى . وبهذا التعريف تم

إدخال كل من هب ودب فى مفهوم الصحبة وحاز على درجة العدالة .. انظر مقدمة الاصابة فى تمييز الصحابة

(٢٧) سوف نعرض لنماذج من هذه الروايات التى تصطدم بالقرآن والعقل فيما بعد ..

في أمن وسلام مما حولهم إلى أغلبية . وحقق الشيوع والتمكن لرواياتهم التي بمرور الزمن تحولت إلى عقائد وأضيفت عليها العصمة وأصبحت هي الحق وما دونها الباطل وأصبح الخارج عن دائرتها مبتدع زنديق. من هنا بززت فكرة عصمة السلف وعصمة رواياتهم وأنهم يمثلون الفرقة الناجية والطائفة المنصورة .. (٢٨)

يقول الأشعري : لا يجوز لأحد أن يخرج عن أقاويل السلف فيما اجتمعوا عليه واما اختلفوا فيه أو في تأويله لأن الحق لا يجوز أن يخرج عن أقاويلهم .. (٣٩)

ويقول ابن حنبل : أصحاب الرأي هم مبتدعة ضلال أعداء السنة والأثر يبطلون الحديث .. (٤٠)

القاعدة الرابعة : ربط الروايات بالقرآن أو الكتاب بالسنة . وبهذا يصبح من يشكك في السنة كأنه شكك في الكتاب ..

يقول مالك : السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك .. (٤١)

ويقول الزهري : كإن علماؤنا يقولون : الاعتصام بالسنة هو النجاة .. (٤٢)

ويقول ابن تيمية : أساس الزندقة والرفض الطعن في الأدلة والأخبار . وعمدة كل زنديق ومناقض إبطال أحاديث رسول الله (ص) والطعن فيها .. (٤٣)

ولابن حنبل دعاء يقول : اللهم ادحض باطل المرجئة . وأوهن كيد القدرية . وأذل دولة الرافضة . وامحق شبه أصحاب الرأي . واكفنا مؤنة الخارجية . وعجل الانتقام من الجهمية (٤٤)
وقال يحيى النياپورى : الذب عن السنة أفضل من الجهاد .. (٤٥)

إن المعارك الدائرة بين فقهاء الحديث حول صحة الروايات وتضعيفها والتي طالت ما يطلق عليه صحيح البخارى مما دفع بابن حجر أن يكتب مقدمته الطويلة دفاعاً عنه فى شرحه لكتابة والتي أسماها (هدى السارى) - هذه المعارك التي تكتظ بها كتب الرجال والشروحات الخاصة بكتب السنن وغيرها إنما تدور جميعها حول سند هذه الروايات لا حول متنها .. فقد اجمع الفقهاء أن الرواية مادامت صحيحة فلا يجوز الخوض فى متنها . ومعنى صحيحة أى رجالها الذين رووها كل عن الآخر حتى يصلوا إلى الصحابى الذى يرووها عن الرسول لا تشويههم شائبة أو بالمعنى

(٢٨) ذلك ما تنص عليه كتب العقائد عند أهل السنة ..

(٣٩) رسالة الثغر المسماة عقيدة أهل السنة والجماعة ط القاهرة ..

(٤٠) رسالة السنة ذيل الرد على الجهمية والزندقة ..

(٤١) نقد المنطق لابن تيمية ص ٤٨

(٤٢) المرجع السابق ..

(٤٣) المرجع السابق ص ٧٥ و ٨٦ ..

(٤٤) رسالة السنة ..

(٤٥) نقد المنطق ص ١٢ ..

الإصطلاحى خارج دائرة الجرح ..

واعتبر الفقهاء الرواية التى تأتى عن طريق رجال البخارى ومسلم هى صحيحة وأن لم يروها البخارى ومسلم . فقد أصبح رواة البخارى ومسلم مقياس صلاحية الرواية من عدمها . ولذلك يقال عن الحديث لتأكيد صحته رجاله رجال الصحيح ..

إلا أن المتأمل فى كتب الرجال بما فيهم الصحابة يتبين له أن الشبهات أحاطت بالكثير منهم خاصة رجال البخارى ومسلم وهو ما يؤكد ابن حجر فى مقدمته وكذلك مسلم فى مقدمته وسائر كتب الجرح والتعديل التى صنفت لهذا الغرض .. (٤٦)

وتهم الردة والزندقة والتبديع التى طالت أصحاب الرأى والاتجاهات الأخرى على مر التاريخ إنما طالتهم بسبب إعمال عقولهم فى متون هذه الروايات مما أدى بهم إلى رفضها والشك فى نسبة نصوصها للرسول (ص) ..

فالشيعية والمعتزلة وما يسمونهم بالجهمية وغيرهم إنما رفعوا شعار العقل فى مواجهة هذه الروايات كما حكموا النصوص القرآنية فيها مما دفع بأهل السنة إلى التصدى لهم ورميهم بشتى التهم .. وقد صفت الكثير من الكتب من قبل أهل السنة للتوفيق بين الروايات ونصوص القرآن ودرء التعارض بينهما .. (٤٧)

إن استخدام العقل والرأى فى منظور هؤلاء الفقهاء يعد صورة من صور الزندقة وهذا التجريم من قبلهم إنما يهدف إلى المحافظة على الروايات التى يتحصنوا بها فى مواجهة الآخرين والتى تحتذى بها القوى الحاكمة أيضاً ..

من هنا فقد جرم الفقهاء أيضاً محاولة الخوض فى الخلافات التى وقعت والأحداث التى ارتبطت بالصحابة بعد وفاة الرسول .. (٤٨)

نماذج الروايات ..

وان الاطلاع على نصوص الروايات التى تبناها أهل السنة وزادوا عنها وزندقوا مخالفتها يكشف لنا مدى أهمية هذه الروايات وضرورتها بالنسبة لتيارهم ومعتقداتهم . كما يكشف من جانب آخر مدى مصادمتها للقرآن والعقل ومعاداتها للرأى . وان أقل ما يمكن أن يقال فيها هو أنها من صنع السياسة ..

(٤٦) انظر الميزان للذهبي والجرح والعدل للقاسمى وهدى السارى ومقدمة مسلم وتهذيب التهذيب لابن حجر ولسان الميزان له أيضاً . والرفع والتكميل ..

(٤٧) انظر نقد المنطق ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ..

(٤٨) انظر كتاب العواصم من القواصم لابی بكر بن العربى (ت ٥٤٣ هـ)

ومن هذه الروايات :

(من بدل دينه فاقتلوه ..)

(من أحدث فى أمرنا هذا فهو رد .)

(بوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديث من حديثى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وأن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله ..)

وفى رواية أخرى : ألا أنى أوتيت الكتاب ومثله معه ..

(من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصا الله ..)

وفى رواية إضافة تقول : ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصى أميرى فقد عصانى ..

(عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ ..)

(لا يقبل الله لصاحب بدعة صوماً ولا صلاة ولا صدقة ولا حجاً ولا عمرة ولا جهاداً ولا صرفاً ولا عدلاً يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين ..)

(صنفان من أمتى ليس لهما فى الإسلام نصيب المرجئة والقدرية ..)

(الناس تبع لقريش فى الخير والشر ..)

(.. تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع ..)

(ومن رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية ..)

(من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ..)

(ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية ..)

(ومن أراد ان يفرق أمر هذه الأمة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان ..)

(إذا بويح الخليفتين فاقتلوا الآخر منهما ..)

(تركت فيكم ما أن تمسكنم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى ..)

(يضع الله قدمه أو رجله فى النار فتقول : قط . قط ..)

(ان الله يغار ..)

(يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ..)

(خلق الله آدم على صورته ..)

(ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة ..)

(إن الله فى السماء ..)

(إنكم ترون ربكم ..)

(يدنى المؤمن من ربه حتى يضع عليه كتفه ..)

(ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ..)

(ضحك ربنا من قنوط عباده ..)

(لن نعدم من رب يضحك خيراً)

(ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن ..) (٤٩)

ومثل هذه الروايات وغيرها لم تلق قبولاً عند الشيعة والمعتزلة والجهمية وغيرهم فهى كما هو واضح تصطدم بالقرآن والعقل . إلا أن أهل السنة أقروها وألزموا بها الأمة واعتبروا الرافضين لها من أهل الرأى والكلام مزندقين من طالته سيوفهم ذبح باسم السنة ومن لم تطله سيوفهم طالته ألسنتهم .

ونخرج مما سبق أن الرواية هى سلاح الفقهاء والحكام فى مواجهة الرأى وأن هذا السلاح لازال مشهراً حتى اليوم فى مواجهة الآخرين ..



(٤٩) أنظر هذه الروايات وغيرها فى البخارى ومسلم وكتب السنن . وانظر سنن ابن ماجة باب ما أنكرت الجهمية . والنظر كتب العقائد . وكتابتنا أهل السنة شعب الله المختار ..

القرآن والرأى

(إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا .. الإنسان/١٩)

عرضنا فيما سبق موقف الرواية من الرأى والمصادمة الواقعة بينهما وزيادة فى وضوح الرؤية اتجهنا إلى القرآن لنستعرض نصوصه المتعلقة بالرأى ليتبين لنا مدى عمق الجناية التى لحقت بالرأى بسبب هذه الروايات ..

إن القرآن إنما يفتح الباب على مصارعة أمام الرأى وإن صور التضييق والاضطهاد إنما جاءت من الروايات وأقوال الرجال حكماً وفقهاء ..

وسوف نعرض هنا نصوص القرآن حول قضية الرأى من محورين هما :

- حرية الرأى ..

- حرية المعارضة ..

وبهذين المحورين تؤكد نصوص القرآن أنه سبق جميع التشريعات الوضعية المتعلقة بالحرىات . وإن جوهر الدين وأصوله لا تصطدم بحال بحرية الإنسان وطموحاته الفكرية . وإن الذى يقف فى طريق هذه الحرىات ويصطدم بها هم المسلمون لا الإسلام ..

والمأمل فى تاريخ المسلمين لن يجد لهذه النصوص أى دور فى واقعهم فقد تم حجبتها تماماً عن ساحة الواقع والتعتيم عليها لعدم قدرة الأنظمة الحاكمة على التعايش معها ..

ويخلو الساحة من هذه النصوص سادت الروايات وأقوال الرجال التى كانت نتيجتها تمكن الاستبداد وسيادة الرأى الواحد والبطش بأصحاب الرأى والمعارضين تلك الممارسات التى انعكست فى النهاية على صورة الإسلام ومستقبله .. كما انعكست على القوى الحاكمة المعاصرة فى ديار المسلمين ومواقفها من الرأى والمعارضة ..

- حرية الرأي ..

أول النصوص التي تفاجأنا بمرونة القرآن ومدى السعة والحرية التي يطلقها للرأى الآخر هى قوله تعالى : إذ قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة ..

(قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ..)

(قال : إني أعلم ما لا تعلمون ..) (البقرة / ٣٠)

وهذا الحوار الذى دار بين الملائكة وبين الله سبحانه وتعالى والذى أظهرهم بمظهر المعترضين على أمره أو المتسائلين عنه وهو ما لا يجوز عليهم وقد جبلوا على الطاعة والانقياد - هذا الحوار تسامح فيه الله ولم يعاقبهم أو يوبخهم بل أجاب على استفسارهم وهو ما يؤكد لطفه سبحانه بمخلوقاته وقبوله الرأى وافساح الطريق له ..

وأين هذا من حكام اليوم الذين يعتبرون قراراتهم نصوصاً معصومة تلزم بها الرعية ولا يجوز الأخذ أو الرد فيها ومن اعترض أو رفض نبذ أو قتل ..

ولما خلق الله آدم وأمر الملائكة بالسجود له عصي إبليس أمره ورفض السجود لآدم ..

فقال سبحانه لإبليس : .. يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين . ؟

قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ..

قال فاخرج منها فانك رجيم وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين ..

قال رب فانظرنى إلى يوم يعشون .

قال فإنك من المنظرين . إلى يوم الوقت المعلوم ..

قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين ..

قال فالحق والحق أقول . لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين .. (ص / ٧٠ وما بعدها)

وهذا الحوار الصريح الذى دار بين الخالق وبين مخلوق من مخلوقاته إنما يكشف لنا مدى سعة الرأى والمناظرة بل والمعارضة التى تنطق بها نصوص القرآن . فعلى الرغم من رفض إبليس تنفيذ أمر الله ومناظرته له سبحانه بل وتحديه للقرار الالهى . وعلى الرغم من أن الله سبحانه أصدر قراره بطرده ولعنه ورجمه إلى يوم الدين رغم ذلك قبل سبحانه سماح كلامه وتحاور معه وأجابه إلى طلبه بالخلافة إلى يوم الدين رغم أن هذه الموافقة سوف تأتى على البشرية بشر عظيم من إبليس وجنده . لكنه مبدأ الحرية والاختيار . كما هو منح لآدم . منح لإبليس أيضاً ومادام الله قد منح إبليس حق البقاء وسلطة الاغواء فإن هذا يعنى أن من يتبعه ويسير على دربه ويرفع رأيه من بنى البشر لهم الحق فى البقاء

والعيسى تحت ظل هذه الراية ووفق المبادئ والمعتقدات التي اعتنقوها . فالمسألة تدور فى دائرة الحرية والاختيار ..

ومادام الله سبحانه منح البشر حرية الاختيار بين الخير والشر ولم يخلقهم مسيرين فإن هذا يعنى إنعدام العقوبة على سلوك إبليس والإنحراف عن سبيل الله فى الدنيا ..
إن الله لم يمنح إبليس سلطة إكراه الناس على إتباعه فى أمر الشر . كما لم يمنح آدم سلطة إكراه الناس على أمر الخير . وهى قاعدة تنطبق على جميع الرسل (ص)

وهو ما يظهر لنا من خلال قوله تعالى (إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً) وقوله (إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر .) (الغاشية / ٢١ : ٢٢)

وقوله (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .) (الكهف / ٢٩)
ومثلما تنطبق هذه القاعدة على الرسل تنطبق على غيرهم من الفقهاء والدعاة ومن نصبوا أنفسهم ناطقين بلسان الدين ..

وإذا كان هذا هو موقف القرآن من الآخرين الذين عاندوه وانحرفوا عن نهجه فمن أين جاءت عمليات البطش بالرأى وأصحابه .. ؟

والجواب يتمثل فى الانحراف عن نصوصه والإلتزام بالرواية وأقوال الرجال ..

فهذه الروايات والأقوال هى التى جنت على الأمة وزرعت بذور الشقاق بين المسلمين وبررت إضطهاد الرأى المخالف وأصحابه وفى النهاية هى شوهدت صورة الإسلام ..

يقول سبحانه : وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحمى الموتى .. ؟

قال : أو لم تؤمن ؟

قال : بلى . ولكن ليطمئن قلبى ..

قال : أو لم تؤمن .. ؟

قال : فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم أجعل على كل جبل منهن جزءاً . ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم .. (البقرة / ٢٦٠)

ومثل هذا النص إنما يكشف لنا أبعاداً جديدة فى محيط الحوار والرأى والمعارضة . فأبراهيم هو خليل الله سبحانه وهونبى مرسل مؤمن بقدرته وعظمته . وهذا الطلب من قبله يوحى بالشك فى قدرة الله إلا أن الله تحاور معه واستجاب لطلبه وأعطاه درساً عملياً وحسباً للبعث ..

إن الهدف من هذا النص ليس هو إثبات حالة أو حدث ارتبط بأبراهيم (ع) بقدر ما هو عملية تعلسية للناس تحمل دلالات لسعة الأفق والحوار . فليس إبراهيم من أهل الشك ولا يجوز هذا فى

حق الرسل . فسؤاله إنما هو عن الكيفية وليس عن القدرة .. ؟

لقد كتف لنا هذا النص مدى ما يعيسته المسلمون من أزمة فكر وحوار انعكست على حركتهم وتصوراتهم فأصابتهم بالجمود والإنغلاق والتعصب وما ذلك إلا بسبب الروايات وأقوال الرجال . فنحن لا نجد اليوم من بين صفوف الرموز الإسلامية وقادة التيارات والجماعات التي ترفع راية الإسلام من يحتمل سؤالاً نصه : هل يمكن أن تبرهن لنا على مقدار علمك وإحاطتك بأمر الدين ؟

وصيغة السؤال إنما تقوم على أساس الاعتراف بأن هذه الرموز هي من أهل العلم . أى أن السؤال يدور فى محيط الكيفية وليس فى محيط القدرة كما هو حال إبراهيم مع الله سبحانه ..

واستطيع أن أجزم أن مثل هذا السؤال سوف يمثل استفزازاً كبيراً لهذه الرموز وسوف يعده تحدياً لها وتشكيكاً فى قدراته فمن ثم سوف يرفض الإجابة عليه ..

وقد ضربنا هذا المثل كى يتبين لنا مدى الهوة السحيقة بين المسلمين والقرآن . ومدى ما يعيشون فيه من عزله عنه متلحفين بالروايات وأقوال الرجال التي صورت لهم أنهم أهل الحق والفرقة الناجية من النار والطائفة المنصورة من قبل الله على مر الزمان ..

ونحن لن نناقش هنا من المستحق لأن يمثل الفرقة الناجية والطائفة المنصورة من بين فرق وطوائف المسلمين المتناحرة فيما بينها . وإن ما نريد توكيده هو أن هذا التصور برر لكل فرقة من هذه الفرق اضطهاد المخالف لها وإستحلاله ..

يقول سبحانه معاتباً آدم بسبب عصيانه أمره وأكله من الشجرة :

(ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما أن الشيطان لكما عدو مبين ..

قالا : ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ..

قال : اهبطوا بعضكم لبعض عدو . ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين ..

(الأعراف/ ٢٢: ٢٤)

لقد زين إبليس لآدم معصية الله ودفع به إلى عصيان أمره بعدم الأكل من الشجرة . لكن الله سبحانه استمع لآدم وقبل توبته . ولم يجرم فعله ولم ينزل به عقاباً كما لم يتعرض لإبليس . وهذا الأمر إن دل على شئ فإنما يدل على أن الله سبحانه لا يريد أن يبذل ما جبل عليه خلقه . فإبليس خلق للشر وتزعم حركته . وآدم خلق للخير وتزعم رايته لكن كلاهما حر مختار . وقد مارس إبليس حريته فى إغواء آدم . ومارس آدم حريته فى قبول إغواء إبليس وبالتالي وقع فى العصيان .

والفرق بين آدم وإبليس . أن آدم لديه القدرة والإرادة على التراجع والتوبة . بينما إبليس قد تحدى الله وأقسم أن يستمر فى طريق الغواية والعصيان أى أنه قرر عدم التوبة والتراجع ..

إن آدم وإبليس كلاهما حر وقد أقر الله سبحانه هذه الحرية وتعامل مع كلاهما على أساسها .
وإذا كان الله سبحانه قد منح إبليس وآدم حرية مخالفته . أليس من الأولى أن يمنح المسلمون
للآخرين حرية مخالفتهم ..

وإذا كان الله سبحانه قد اعترف بوجود الشر متمثلاً في إبليس وذريته والخير متمثلاً في آدم
وذريته . أليس من الأولى أن يعترف المسلمون بوجود الآخرين متمثلين في أى فكر وأى اعتقاد ..

والسؤال هنا هو : هل التجريم يقع على المخالف لله . أم المخالف للمسلمين .. ؟

والإجابة هي أن التجريم يقع على المخالف لله ..

لكن الله سبحانه لم يجرم المخالف له والكافر به في الحياة الدنيا وأرجأ أمره إلى الآخرة أليس من
الأولى على المسلمين أن يتبنوا فكرة الإرجاء ويتركوا مخالفتهم وشأنهم ويكلوا أمرهم إلى الله
تعالى .. ؟

إن تبني الحكام والفقهاء والتيارات الإسلامية تجريم الرأى والفكر فى محيط الدنيا إنما هو اعتداء
على سلطة الله سبحانه وخروج على كتابه الذى أنزله هداية لمن شاء من الناس ..

- حرية المعارضة ..

إن الأدلة القاطعة التى جاء بها القرآن حول قضية الرأى تلك النصوص التى تتحدث عن
المعارضين لله سبحانه ولرسله الرافضين لدينه . فهؤلاء جميعاً لا يؤاخذهم الله بشئ فى الحياة الدنيا .
وطوال حياتهم يملكون الحرية فى معارضة شرعه ورفض رسالاته دون أن ينزل بهم أى عقاب ..

والقرآن قد ضرب على ذلك الكثير من الأمثلة فى الوقت الذى لم يحدد فيه أية عقوبة دنيوية أو
تشريع يعترض طريق هؤلاء المعارضين أو يحجر عليهم ..

يقول سبحانه : ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى
أجل مسمى . فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً .. (فاطر / ٤٥)

ويقول سبحانه : ورحمتى وسعت كل شئ .. (الأعراف / ١٥٦)

وأمام هذين النصين لا مكان لتلك النظريات المتطرفة المعادية للرأى الآخر وللمعارضين والتى
ابتدعتها السياسة . فالرحمة والاعتدال هما الأساس فى مواجهة الآخرين لا البطش والسيف
والتضييق والمصادرة ..

ولقد أعلن اليهود معارضتهم لله جهره وقالوا فى الله سبحانه الكثير:

ينزل تعالى : وقالت اليهود يد الله مغلولة .. (المائدة / ٦٤)

ويقول : لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء .. (آل عمران / ١٨١)

ويقول : لقد سألو موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة .. (النساء / ١٥٣)

وقال النصرارى عن الله مثلما قال اليهود

يقول سبحانه : لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم .. (المائدة / ١٧)

ويقول : لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد .. (المائدة / ٧٣)

ويقول : اتخذوا أجبازهم ورهبانهم أرباباً من دون الله .. (التوبة / ٣١)

ويقول : وقالت اليهود عزير ابن الله . وقالت النصرارى المسيح ابن الله .. (التوبة / ٣٠)

إن اليهود والنصارى قد عارضوا الله سبحانه ونازعوه فى ألوهيته ونسبوا إليه الولد وهو أمر عظيم صوره الله سبحانه بقوله :

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئاً إذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولداً .. (مريم / ٨٩ : ٩١)

ورغم ذلك كله لم يكن هناك من سبيل لمواجهةهم سوى الرد عليهم ودحض حججهم وتبديد شبهاتهم . فقط . هذا هو القرار الذى اتخذ فى مواجهتهم ..

وليت المسلمين التزموا بهذا النهج فى مواقفهم وممارساتهم تجاه المخالفين على مر التاريخ وإذا كان القرآن قد تبنى هذا الموقف تجاه اليهود والنصارى . فكيف للإسلاميين أن يتبنوا ما هو أشد وأكثر تطرفاً وإرهاباً تجاه المسلمين المخالفين لهم .. ؟

أما موقف القرآن من المنافقين الذين يتبنون موقف المعارضة السرية لله والدين والرسول فهو موقف غاية فى الاعتدال والمرونة

بقول سبحانه : وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً .. (الأحزاب / ١٢)

ويقول : ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب . قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون.. (التوبة / ٦٥)

ويقول : وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء إلا أنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون . وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون .. (البقرة / ١٣ وما بعدها)

ويقول : يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نفسوا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله .. (التوبة / ٧٤)

إن موقف المنافقين هو موقف عقائدى يتمثل فى رفض الدين والرسول والكفر بالله من أناس يشهرون الإسلام . فمن ثم هم أخطر من أولئك الذين يعارضون شاهرين كفرهم ومع ذلك فإن القرآن لم يطلب من الرسول أو المسلمين مواجهتهم واستئصالهم من المجتمع وإنما ترك أمرهم إلى الله سبحانه . والتزم الرسول أمامهم بالحوار والحجة والحذر منهم .

وإذا كان القرآن قد تسامح مع المنافقين وهم يتبنون موقفاً عقائدياً من الإسلام ومن المسلمين والتزم أمامهم بالحجة والحوار أملاً فى هدايتهم . فكيف يكون الموقف تجاه المسلمين أصحاب الرأى والتوجه المخالف .. ؟

لا شك أن موقف القرآن سوف يكون أكثر سعة وأكثر مرونة . بل أن نصوصه باركت الرأى الذى ينشأ عن التعقل والتدبر والتفكير .. (١)

ولقد جسد لنا رسول الله (ص) هذا السلوك عندما طالبه البعض بقتل المنافقين فكان جوابه : لا يقال أن محمداً يقتل أصحابه .. (٢)

وهذا الموقف من قبل الرسول إنما يجسد قاعدة أساسية فى مواجهة المخالفين وهى أن الجزاء يرتبط بالجرم لا بالفكر أو الرأى ..

لقد تعامل الرسول مع المنافقين على أساس مبدأ حرية الرأى والاختيار فهو حق قد منح لأدم وسائر البشر من قبل الله سبحانه ولا يجوز للرسول أو غيره أن يسلبهم هذا الحق ..

وإذا ما جاء الحديث عن المشركين فأنا نجد أن القرآن ألتزم فى مواجهتهم بنفس الموقف الذى ألتزمه فى مواجهة المنافقين ..

يقول سبحانه : وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها . قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون .. (الاعراف / ٢٨)

ويقول سبحانه : وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى . فاوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحاً لعلى أطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين .. (القصص / ٢٨)

ومن خلال النص الأول نرى الله سبحانه يرد على المشركين الذين نسبوا إليه سبحانه الفحشاء بنفى هذا الإدعاء والتأكيد على أنهم قوم يجهلون ويدعون بلا علم ولا أساس مبيناً أن الله لا يأمر بذلك (قل أمر ربي بالقسط) .. (الاعراف / ٢٨)

أما فرعون فهو صاحب سلطة وجنود ويقف موسى فى مواجهته لا يملك سوى عصاته التى يبرهن

(١) انظر قوله تعالى (كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تعقلون) (البقرة / ٢٤٢) . وقوله (أفلا تعقلون) وقوله (أفلا يتدبرون القرآن) وقوله (هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون) (الأنعام / ٥٠) . ومثل هذا فى القرآن كثير .
(٢) انظر كتب السيرة . وأبواب المنافقين فى شروحات كتب السنن مثل فتح البارى وشرح النووى ..

بها على صحة إدعائه النبوة وحمله الرسالة . فمن ثم دفع هذا الموقف بفرعون إلى الغرور واستضعاف موسى وقومه ثم ادعاؤه الالهية على الملأ دون أن يجد معارضة من قومه الذين دانوا له وعبدوه .

ولم يكن موسى يهدف إلى القضاء على فرعون بل كان يهدف إلى تحرير بنى إسرائيل من النظام الفرعونى . فعلى الرغم من طغيان فرعون وإدعائه الربوبية والإلهية فإن التوجيه الإلهى لموسى عندما أرسل فرعون نص عليه قوله تعالى :

إذهب إلى فرعون إنه طغى .. (طه / ٢٤)

ولما أنضم هارون إلى موسى ليشد من أزره قال لهما سبحانه :

إذها إلى فرعون إنه طغى فقولاً له فقولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى .. (طه / ٤٣)

قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ..

قال : لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى .. (طه / ٤٦)

لكن فرعون تجاوز حدود العناد والخصومة مع الله ورسوله ودخل فى صدام مع موسى وعمل على عرقلة الدعوة وقتل المؤمنين وتشويه الحق والبطش بالناس مما أدى إلى تدخل القدرة الإلهية التى قضت عليه وجعلته آية لطواغيت الأرض ..

إن الله سبحانه لم ينتقم من فرعون بسبب كفره وعناده وإنما انتقم منه بسبب محاربه لرسوله وبطشه بالمؤمنين ..

لقد تجاوز فرعون حدود الفكر والاعتقاد والجدال بالحسنى إلى حدود التآمر والقتل والمطاردة فكان جزاؤه القتل بسبب جرمه لا بسبب فكره وعناده ..

ومن معارضة الله سبحانه إلى معارضة الرسل (ص) ..

بقول سبحانه : وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا .. (الفرقان / ٦٠)

ويقول : كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحراً أو مجنون .. (الذريات / ٥٢)

وقال قوم هود (ع) :

إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء .. وهود / ٥٤)

وقال قوم نوح (ع) :

فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لآتزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آياتنا الأولى إن هو إلا رجل به جنة فترصبوا به حتى حين (المؤمنون / ٢٤)

وقال قوم صالح (ع) :

قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد أبائنا وإننا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب .. (هود / ٦٢)

وقال قوم شعيب (ع) :

قالوا يا شعيب مانفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعرير .. (هود / ٩١)

وقال قوم لوط (ع) :

قالوا أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون .. (الاعراف / ٨٢)
وقال قوم محمد (ص)

قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون فأنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ..
(الأنعام / ٣٣)

وقالوا إن هذا إلا سحر مبين ، أنذامتنا وكنا تراباً وعظاماً أننا لمبعوثون .. (الصفات / ١٥)

وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الإلهة إلهاً واحداً إن هذا الشئ عجاب .. (ص / ٤)

ومن أمثلة هذا فى القرآن كثير وهو يدل دلالة قاطعة على اعتراف القرآن بالحوار والجدل والمناظرة وحرية المعارضة والرأى الآخر ..

ومن جهة أخرى هو يؤكد على أن الرأى الآخر وأصحابه من أقوام الأنبياء أو أهل الكتاب أو المشركين وغيرهم لم يضطهدوا بسبب رأيتهم وإنما حل على بعضهم غضب الله وانتقامه لإجرامهم وسلوكهم سبيل المقاومة المادية لدعوة الرسل ..

- الرأى والقرآن ..

مثلاً أوضح لنا القرآن فيما سبق حرية الرأى والمعارضة لله سبحانه ولدينه ولرسله يؤكد لنا القرآن أيضاً حرية الرأى والمعارضة لآياته من قبل الكفار والمشركين وهو ما يظهر لنا من خلال النصوص التى تعرض للصدام الفكرى الذى وقع مع قوم الرسول (ص) .. الذين أعلنوا رفضهم للقرآن ..

يقول سبحانه : وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهنأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره أنكم إذا مثلهم .. (النساء / ١٤٠)

ويقول سبحانه : وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلاً .. (الفرقان / ٤)

ويقول : ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذين يلدنون إليه أعجمى وهذا لسان عربى

مبين .. (النحل / ١٠٢)

ويقول : بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر .. (الحاقة / ٣٨)

ويقول : وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كسفوا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ..
(الأحقاف / ٧)

ومجموع هذه النصوص يؤكد لنا موقف الرفض الذي تبناه قوم الرسول من القرآن ذلك الرفض الذي
يقوم علي تكذيب نصوصه والإستهزاء بآياته ..

والقرار الإلهي الذي صدر في مواجهتهم هو وجوب اعتزالهم ومقاطعتهم والرد على ما أثاروه من
شبهات حول القرآن ..

يقول سبحانه : فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون . إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر
قليلاً ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون .. (الحاقة / ٣٨)

ويقول : وما هو بقول شيطان رجيم .. (التكوير / ٢٥)

يقول : وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون ..
(الشعراء / ٢١٠)

إن القرآن يحدد في صراحة ووضوح أن من حق الفرد أن يبدي رأيه في آياته ويقرر ما يتبناه من
معتقد تجاهه . وأن على المسلمين أن يتبنوا في مواجهة المخالفين لهم حول القرآن نهج الحوار والاعتدال
على أساس الاحترام المتبادل . وعلى أساس حق الحرية والاختيار الذي منحه الله سبحانه للناس
أجمعين ..

يقول سبحانه : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم
وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين .. (المتحنة / ٨)

وهذا النص الصريح القطعي الدلالة إنما يوجب علي المسلمين إلزام الأدب والأخلاق واللين والبر مع
مخالفهم في حدود الرأي والاعتقاد طالما أن هؤلاء المخالفين لا يشهرون السيف في مواجهتهم ولا
يعادوهم في شيء ..

وفي محيط هذه النصوص القرآنية الصريحة ينبغي أن نلقى الضوء على قضية الناسخ والمنسوخ
التي يتسلح بها أنصار الرؤية الأحادية من أهل السنة القدماء والمعاصرين في مواجهة هذه النصوص ..

فقد شهر الفقهاء والرواة سلاح النسخ أمام هذه النصوص بهدف تطويقها والحيلولة دون أن تكون
سندا للتيارات الأخرى المناهضة للخط السائد وأصحاب الرأي بشكل عام .. ونحن نقول أن فكرة
الناسخ والمنسوخ هي فكرة مختلقة تصطدم بالقرآن والعقل وإن صحت فهي خاصة بفترة نزول القرآن
في عهد الرسول (ص) .

أما تبني هذه الفكرة بعد تمام القرآن وكمال الدين فهذا من شأنه أن يؤدي إلى تعطيل الكثير من نصوص القرآن فضلاً عن كونه سوف يؤدي إلى القضاء على حرية الرأي والعقيدة وسيادة تيار التطرف والعدوانية . إذ ان تبني هذه الفكرة . سوف يؤدي إلى تعطيل ذلك الكم من النصوص التي عرضناها وغيرها بحجة أنها منسوخة . وسوف تحل محلها نصوص السيف .. (٣)

ولقد تمادى أهل النسخ في موقفهم حتى نادوا بجواز نسخ النص القرآني بالرواية وبهذا يكونوا قد أوصدوا الأبواب في وجه الرأي الآخر وحرموه من حق الاختيار ووضعوه ما بين السيف والتراجع .. (٤)

إن القرآن يقدم لنا الدليل على بطلان مثل هذه الفكرة وأنه لا يجوز تطبيقها على قضايا الرأي خاصة ..

بقول سبحانه : إنك ميت وإنهم ميتون . ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون .. (الزمر / ٣٠)

فهذا النص يعطينا دلالة قاطعة على أن الخصومة في أمر الدين بين الذين يؤيدونه ويؤمنون به ويناصرون الرسول وبين الذين يرفضونه ويعادون الرسول لن يفصل فيها إلا بين يدي الله سبحانه يوم القيامة . وهذا يعني استمرار هذه الخصومة في الحياة الدنيا وأنه لا عقوبة لها ولا اعتراض عليها . وهذا يعني أن تشريع الحوار والجدال مع خصوم الدين قائم لم ينسخ ..

وما دام الله سبحانه قد منح البشر حق الاختيار وحرية الإرادة في الحياة الدنيا . فمن الظلم أن هذه الحرية ويصادر منهم وهذا الحق .

والذين يقولون بالنسخ إنما ينسبون الظلم إلى الله إذ ينسبون إليه التراجع عن هذه المنحة وإنزاله العقاب علي من يمارسون حريتهم في الاختيار والاعتقاد ..

إن القرآن يزدحم بشتى النصوص التي تعرض رأى خصوم الدين من يهود ونصارى ومشركين ومنافقين حتى ولو كانت تمس الله سبحانه أو الرسول أو القرآن . وفتح لهم الأبواب ليقولوا ما يعتقدون في حرية ..

من جهة أخرى أزدحم القرآن بكثير من النصوص التي ترد على إدعاءات الخصوم وتفند شبهاتهم . وهذه النصوص إنما تعطي درساً بليغاً للمسلمين في تعاملهم مع الآخرين ..



(٣) يجمع الفقهاء على أن نصوص سورة التوبة نسخت ما قبلها من نصوص الحوار والدعوة بالحكمة والمرعظة الحسنة وعدم التعرض لأهل الكتاب .. ويذكر أن آية الممتحنة السابقة من الآيات المدنية وهذا يعني أنها غير منسوخة (٤) قال الأحناف بجواز الحديث الآحاد . ونقل عن الشافعي التصريح بذلك . انظر المبسوط للرخس والرسالة والأم للشافعي ..

شهداء الرأي

الكلمة والسيف ..

إن تاريخ المسلمين يقطر بالدماء ..
دماء أريقت من أجل الحكام ..
ودماء أريقت من أجل التوسع والسيطرة ..
ودماء أريقت من أجل الكلمة ..
وهذه الدماء هي دماء المسلمين لا دماء الكفار والمشركين ..
وموضوعنا هنا هو تلك الدماء التي أريقت من أجل الكلمة حيث لم يكن هناك حوار . ولم تكن هناك مناظرة ..
بل كان هناك حكام وفقهاء وسيوف ..
وكان هناك فلاسفة وشعراء وتيارات ومذاهب تختلف مع هؤلاء الحكام وتنازع الفقهاء سيطرتهم على الشارع الإسلامى أو القاعدة الجماهيرية ..
وكانت عقيدة الحكام والفقهاء لا تسمح بالرأى الآخر ولا تفسح له الطريق فالرأى الآخر فى عرفها هو الزيف والضلال والزندقة . لكونها عقيدة الفرقة الناجية من النار والطائفة المنصورة من الله سبحانه الرافعة لرأية الحق عبر الزمان
من هنا فإن جبهة الحكام والفقهاء لم تكن تفقه سوى لغة السيف فى مواجهة الخصوم من الشيعة والمعتزلة والجهمية والقدرية والشعراء والكتاب والفلاسفة وغيرهم من أصحاب الرأى المخالف الذين رفعوا شعار العقل وكرموا ..
لذا فقد كثر الشهداء المظلومون ..
وتدفقت دماؤهم لتسطر لنا تاريخ القهر والاستبداد والفساد الذى تلحف بالإسلام وهو منه براء ..
تعالوا بنا إذن لننتعرف على شهداء الرأى ..
وننتعرف أيضاً على أعداء الرأى ..
إن أهم النتائج التى نخرج بها من خلال عرض هذه النماذج من شهداء الرأى عبر التاريخ هو أن التاريخ يعيد نفسه . وإن هذا النموذج من المحاكمات الفكرية انما تتكرر أمامنا اليوم على يد الحكام والفقهاء بصور مختلفة ..

حجر بن عدي

نعم لعلى . لا معاوية ..

حجر بن عدي بن الأديب الكندي وفد على الرسول (ص) هو وأخوه هاني بن عدي وشهد القادسية وشهد الجمل وصفين مع علي وكان من الصحابة المتشيعين له ..

ولما قتل علي وبعده الحسن بالسم ودانت الكوفة لمعاوية ولي عليها زياد بن أبيه فأظهر الغلظة والسوء فأعلن حجر خلعه ولم يخلع معاوية وتابعه علي ذلك جماعة من شيعة علي . وتأكد لزياد أن حجراً وأصحابه مصدر قلق وإضطراب في الكوفة فأرسل إلى معاوية بالشام يخبره بالأمر . فأمره أن يبعث به وبأصحابه إليه . فبعث بهم إليه فقتلهم في قرية مرج عذراء بغوطة دمشق ..

ويروى أنه لما أمر معاوية بقتل حجراً وأصحابه قام حجر فصلى ركعتين . ثم قال : لولا أن تظنوا بي غير الذي بي لأطلتها . وقال : لا تنزعوا عني حديداً ولا تغسلوا عني دماً فأني لاق معاوية على الجادة ..

وتشهد كتب تراجم الصحابة مثل الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني . وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر وطبقات ابن سعد - أن قتل معاوية حجراً أثار غضباً شديداً في أوساط المسلمين حتى أنه يروى أن معاوية ندم على قتله ..

ويروى ابن الأثير أن عائشة أرسلت إلى معاوية تقول : الله الله في حجر وأصحابه .

ويروى دخل معاوية على عائشة في المدينة فقالت له في حجر كلام طويل . فقال معاوية دعيني وحجراً حتى نلقى ربنا ..

ويروى ابن سعد أن الشيعة كانوا يختلفون إليه ويقولون : إنك شيخنا وأحق الناس بإنكار هذا الأمر . وكان إذا جاء المسجد مشوا معه .

وانشدت هند بنت زيد بن مخزبة الانصارية وكانت شيعية فيه شعراً يقول :

ترفع أيها القمر المنير . . . ترفع هل ترى حجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب . . . ليقتله كما زعم الخبير
تجبرت الجبابر بعد حجر . . . وطاب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البلاد له محولاً . . . كأن لم يحسها يوماً مطير
ألا يا حجر حجر بن عدى . . . تلتقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى عدياً . . . وشيخاً فى دمشق له زئير

فإن تهلك فكل عميد قوم . . . إلى هلك من الدنيا بصير
ولحجر مقالة شهيرة حين هم معاوية ورجاله قتلة قال : اللهم إنا نستعديك على أمتنا فإن أهل
العراق شهدوا علينا وإن أهل الشام قتلونا ..

ويروى ابن العماد فى شذرات الذهب ج ١ . أحداث عام ٥١ هـ : وفيها قتل حجر بن عدى
وأصحابه بمرج عذراء من أرض الشام . قتلوا بأمر معاوية . ولذا قال على كرم الله وجهه حجر بن
عدى وأصحابه كأصحاب الأخدود (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)
فإن صح هذا عن على فيكون من باب الأخبار بالغيب لأنه توفى قبل ..

لقد عمل معاوية منذ أن قبض على زمام السلطة على تصفية خصومه والبطش بالمعارضين لحكمه
وطموحاته .

ولم تكن هناك من معوقات تقف فى طريق تحقيق هذه الطموحات واستقرار الحكم بين يديه سوى
قطاع الشيعة من الصحابة والتابعين الذين تمركزوا فى الكوفة وفى المدينة فهؤلاء كانوا الخطر الأكبر
الذى يهدده ويقلق مضجعه . فمن ثم لم يكن متسامحاً معهم بل منكلاً بهم ..

وهو النهج الذى سار عليه الولاة السفاحون الذين تولوا حكم الكوفة والمدينة من قبله والذين لم
يكونوا يفهمون إلا لغة السيف ..

وفى زمن معاوية لم يكن يقف فى مواجهته سوى الشيعة فلم تكن الاتجاهات والتيارات الأخرى
قد ظهرت بعد باستثناء تيار الخوارج الذى تلقى ضربة قاضية على يد الإمام على احتاجت منه فترة
طويلة كى يبرز على الساحة من جديد ..

ولقد دافع فقهاء التبرير الذين نموا وترعرعوا فى ظل حكم بنى أمية عن معاوية وبرروا جرائمه
وتلقفوا رواياته التى نسبها للرسول (ص) وروايات وزير الدعاية فى حكومتة أبو هريرة وأقاموا الدين

على أساسها ..

وقد صنف هؤلاء الكثير من الكتب التي تبيض وجه معاوية الذي أدخلوه ضمن الصحابة العدول الذين لا يجوز الخوض في أمرهم أو المساس بهم ..

وصنف أبو بكر ابن العربي كتابه (العواصم من القواصم) لهذا الغرض كما صنف من بعده ابن حجر الهيتمي كتابه : (تطهير الجنان واللسان عن الخطورة والتفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان)

وذلك غير ما ألصقوه به في كتب السنن من فضائل والدور الذي قام به مؤرخو الشام في تلميع الحكم الأموي والدفاع عن معاوية أمثال ابن كثير والذهبي وابن خلكان وكذلك فقهاء الشام أمثال النووي وابن حجر العسقلاني وابن تيمية ..

وهكذا أضع القوم دماء حجر هدراً . كما أضعوا دماء الآلاف من الشهداء الذين قتلوا على يد زياد عامل معاوية على الكوفة ويسر بن أرطأة جندي معاوية الأمين الذي ذبح الأطفال والشيوخ والنساء في المدينة والحجاز واليمن ..



ميثم التمار

أول المصلوبين .. فى تاريخ المسلمين

كان معاوية قد فرض على أهل الشام والعراق وغيرهما من البلدان الواقعة فى دائرة نفوذه سب الإمام على على المنابر والبراءة منه . وذلك بعد مقتل على واستتباب الأمر له ..

وصار ذلك سنة فى أيام معاوية التى استمرت تسعة عشرة سنة وبضعة أشهر كان قد قتل فيها كل من يظهر الولاء لعلى بن أبى طالب - كما صارت سنة فى أيام بنى أمية من بعده واستمر ذلك حتى جاء عمر بن عبد العزيز فمنع ذلك وأمر الخطباء فى المساجد ان يتلوا مكان سب الإمام على قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر ..)

وكان ميثم بن يحيى التمار عبداً لإمرأة من بنى أسد فاشتراه الإمام على وأعتقه . فأصبح من حواربه والملتصقين به ..

وكان شأن ميثم مع على كشأن سلمان مع النبى (ص) حين كان مملوكاً لإمرأة يهودية فاشتراه النبى وأعتقه وقر به إليه ..

وكما أخذ سلمان العلم من النبى أخذ ميثم أيضاً العلم من على حتى أنه نبأه بيوم وساعة مقتله على يد ابن زياد ..

ولقب ميثم بالتمار لأنه كان يبيع التمر فى دكان بالكوفة . وكان الإمام على إذا خرج إلى المسجد يجلس إلى ميثم فى دكانه ..

ولما ولى ابن زياد الكوفة من قبل معاوية بعد مقتل الإمام على وموت الحسن دخل عليه ميثم فى شكايه مع آخرين وتحدث بلسانهم أمامه . فسأل عنه ابن زياد فقالوا له : هذا الكذاب مولى الكذاب (على) ..

فرد ميثم قائلاً : بل أنا الصادق مولى الصادق أمير المؤمنين على حقاً ..

فقال ابن زياد : تبرأ منه ولتذكرن مساوئه وتتولى عثمانيه وتذكر محاسنه أو لأقطعن يديك

ورجليك ولأصلينك ..

فلما سمع ميشم هذا القول بكى ..

فقال ابن زياد : مايبكيك ؟

فقال : والله ما بكيت من القول دون الفعل . ولكن بكيت من شك كان دخلنى يوم أخبرنى مولاي على ..

قال ابن زياد : وما قال لك مولاك ..

قال ميشم : قال لى لتقطعن يديك ورجليك ولسانك ولتصلين . فقلت : ومن يفعل بى ذلك ؟

فقال لى مولاي على : يأخذك العتل الزنيم من الأمة الفاجرة عبيد الله بن زياد

فقال ابن زياد فى غيظ وغضب : والله لأقطعن يديك ورجليك ولأدعن لسانك حتى اكذبك واكذب مولاك ..

فأمر به فقطعت يده ورجلاه ثم صلب على جذع نخلة ..

فلما رفع على الخشبة صاح بأعلى صوته : أيها الناس من أراد أن يسمع الحديث المكتون عن على بن أبى طالب قبل أن اقتل فليأتى ..

فكان يحدث الناس بفضائل أهل البيت وهو بين يدي الموت . وكثر الناس من حوله . وبلغ الأمر ابن زياد فخشى أن يغير قلوب أهل الكوفة على معاوية ويخرجون عليه فأمر من يذهب ليقطع لسانه ..

فلما أتوا فالوا لميشم : أخرج لسانك فقد أمرنا الأمير بقطعه ؟

فقال ميشم : ألا زعم ابن الفاجرة ان يكذبنى ويكذب مولاي أمير المؤمنين على هاكم لسانى فاقطعوه ..

وقطع لسان ميشم وصدقت نبوءة على فيه فكان أول مصلوب فى تاريخ المسلمين ..



سعيد بن جبير ..

راهب يواجه السفاح ..

يعد سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الشهير بسعيد بن جبير المولى من إعلام التابعين سكن الكوفة وأخذ العلم عن ابن عباس وغيره من الصحابة وشهد له معاصره بالتقوى والورع والفقہ بالرواية والقرآن وسائر الأحكام .. وقد عاصر ابن جبير الحجاج وأكتوى بناره وأعلن غضبه عليه وعلي خليفته عبد الملك بن مروان . فقبض عليه الحجاج وقتله بتهمة التعاون مع حركة الثورة التي قادها عبد الرحمن بن الأشعث ..

وكان سعد قد فر من وجه الحجاج إلى مكة وأختبأ فيها فوشى به الواشون فقبض عليه حاكمها خالد بن عبد الله القسري وبعث به إلى الحجاج بالكوفة ..

يروى ابن خلكان أن سعيد لما مثل بين يدي الحجاج قال له : يا شقى بن كسير والله لأقتلنك . وأمر الحرس بضرب عنقه . فضرب عنقه في شعبان سنة خمس وتسعين وقبل سنة أربع وتسعين للهجرة بواسطة ودفن بظاهرها وقبره يرار بها ..

ويروى أن سعيد أدخل على الحجاج وهو موثق بالحديد فنظر إليه الحجاج في غضب وقد استوى جالساً وكان متكئاً : يا عدو الله . خرجت علينا مع عبد الرحمن .. ؟

قال : سعيد : ما فعلت . ولكن أتيت بيت الله الحرام الذي من دخله كان آمناً . فأخذت وأنا متعلق بأستار الكعبة ..

قال الحجاج : ما اسمك ؟

قال سعيد : اسمي سعيد بن جبير ..

قال الحجاج : الشقى بن كسير ..

قال سعيد : أمي أعلم باسمي ..

قال الحجاج : شقيت وشقيت أمك ..

قال سعيد : الغيب يعلمه الله ..

قال الحجاج : لأوردنك حياض من الموت ..

قال سعيد : أصابت أمى اسمى حقاً ..

قال الحجاج : لأبدلنك بالدنيا ناراً اتلظى ..

قال سعيد : لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً ..

قال الحجاج : ما علمك بمحمد (ص) ..

قال سعيد : نبى ختم الله به الرسل وصدق به الوحي إمام الهدى ونبي الرحمة صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته ..

قال الحجاج : ما قولك فى الخلفاء ..

قال سعيد : خيرهم أرضاهم لخالفه ..

قال الحجاج : أى رجل أنا ..؟

قال سعيد : يوم القيامة تخبر أى رجل أنت .

قال الحجاج : فأى رجل أنت .. ؟

قال سعيد : أنا أهون على الله من أن أطلع على غيبه ..

قال الحجاج : يا سعيد مالك لم تضحك قط ..

قال سعيد : وكيف يضحك رجل مخلوق من طين والطين تأكله النار ولا يدري إلى ما يصير إلى جنة أو إلى نار ..

قال الحجاج : : ما قولك فى على بن أبى طالب أفى الجنة هو أم فى النار ..

قال سعيد : لو أدخلت الجنة وفيها أهلها . والنار وفيها أهلها . لعلمت يا حجاج ..

قال الحجاج : الويل لك منى يا سعيد .

قال سعيد : الويل لمن أبعد عن الجنة وأدخل النار ..

قال الحجاج : إنى قاتلك ..

فضحك سعيد ..

فقال الحجاج : ما أضحك يا سعيد ؟

قال سعيد : ضحكت من العجب ..

قال الحجاج : ماذا العجب ..

قال سعيد : عجبت من تجرئك علي الله وحلمه عنك ..
فأمر به الحجاج ليقتل ..
قال سعيد : (انى وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ..)
قال الحجاج : حولوا وجهه عن القبلة ..
قال سعيد : (فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم)
قال الحجاج : يا غلام . قم إليه فاضرب به الأرض ضربة ثم اعل صدره لتذبحه فلما وضع السيف
على حلقه قال سعيد : بسم الله وبالله وعلى ملة الله وملة رسوله ..
قال ابن حنبل : قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه
وقال الحسن البصرى : اللهم أيت على فاسق ثقيف - الحجاج - والله لو أن من بين المشرك
والمغرب اشتركوا فى قتله لكبهم الله عز وجل فى النار
ولم يعش الحجاج بعد سعيد سوى أشهر قليلة ولم يسلطه الله على قتل أحد بعد سعيد
ويروى أن الحجاج لما حضرته الوفاة كان يغوص ثم يفيق وهو يقول : مالى ولسعيد بن جبير ..
لقد انتمى سعيد إلى قافلة شهداء الرأى والمعارضة لحكم بنى أمية من شيعة على بن أبى طالب
وهم أكثر من أن يحصوا وقد تدفقت دماؤهم بغزارة لتروى لنا قصة الصراع بين النص والسياسة أو بين
الإسلام والفيلية .
ومن جهة أخرى شكلت هذه الدماء إدانة فاضحة لخط معاوية وبنى أمية الذين وضعوا أساس صرح
الاستبداد والقهر ومحاكم التفتيش ..



غيلان الدمشقي

نادى بالقدر وراح ضحيته..

يمثل غيلان بن مسلم الدمشقي تيار أطلق عليه (القدرية) وهو تيار محكوم عليه بالكفر والضلال واستباحة دماء أصحابه من قبل أهل السنة ..

ويتداول أهل السنة رواية تقول : القدرية مجوس هذه الأمة . إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم .. (أبو داوود)

ورواية تقول : لكل أمة مجوس . ومجوس هذه الأمة الذين يقولون : لا قدر ..

من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوهم . وهم شيعة الدجال .

وحق على الله أن يلحقهم بالدجال .. (أبو داوود)

ويروى : صنفان من بنى آدم ليس لهما فى الإسلام نصيب : المرجئة والقدرية .. (الترمذى)

ويروى : لا تجالسوا أهل القدر ولا تفتاحوهم .. (مسند أحمد وأبو داوود والحاكم)

وليس هنا مكان التعليق على هذه الروايات التى من الواضح أنها مختلفة فى مواجهة تيار يهدد أهل السنة والقوم قد أكفونا الخوض فيها بإعترافهم أنها ضعيفة . إلا أن ما يعيننا هنا هو أن هذه الروايات كان لها دورها فى الماضى واستند عليها فى تصفية تيار معين واستباحة دماء أصحابه ..

أما ما ينسب لهذا التيار فهو أن كل أحد يخلق فعله ويترتب على هذا التصور نفى القدرة عن الله سبحانه وإخراج أفعال المخلوق من دائرة قدرته وخلقته حسب زعم أهل السنة الذين يؤكدون أن القدرية نفاة القدر وتشبيهمهم بالمجوس إنما يعود إلى أن المجوس اعتقدوا وجود خالقين . والقدرية اعتقدوا وجود خالقين ..

وعلى ما هو ظاهر ان هذا التشبيه غير صحيح إذ أن البون شاسع بين من يدعى وجود خالقين اثنين للكون ومن يدعى قدرة العباد على خلق أفعالهم ..

ويذكر مؤرخو الفرق والاعتقادات أمثال البغدادى فى كتابه (الفرق بين الفرق) والشهرستانى
كتابه (الملل والنحل) إن باعث فكرة القدر كان نصرانياً دخل الإسلام

ويروى أن عمر بن عبد العزيز ناظر غيلان فى فكرته وأقنعه بالرجوع عنها .

وقد نص الحوار بينهما على ما يلى :

قال عمر : ما تقول ؟

قال غيلان : أقول ما قال الله ..

قال عمر وما قال الله .. ؟

قال غيلان : إن الله يقول : هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً .. ومضى
يقرأ حتى قوله تعالى : إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ..

قال عمر : أقرأ . فلما بلغ قوله تعالى (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله)

قال له عمر : يا ابن الاتانة تأخذ بالفرع وتدع الأصل ..

ومثل هذه الرواية إنما الغرض منها هو تأكيد مذهب أهل السنة فى أن الشر والضلال يتم بمشيئة
الله وهو ما يرفضه غيلان والاتجاهات الأخرى مثل الشيعة والمعتزلة التى تؤكد أن الفرد حر الاختيار
فى سلوك سبيل الخير أو سبيل الشر . وقد اعتبر أهل السنة هذا التصور يعنى نسبة خلق الأفعال
للعباد وليس لله ..

ويروى السيوطى فى تاريخ الخلفاء أخبار عمر بن عبد العزيز : أظهر غيلان القدر فى خلافة عمر
بن عبد العزيز فاستتابه . فقال : لئد كنت ضالاً فهديتنى . فقال عمر : اللهم إن كان صادقاً وإلا
فاصلبه واقطع يديه ورجليه فنفذت فيه دعوته فأخذ فى خلافة هشام بن عبد الملك وقطعت أربعته
وصلب بدمشق فى القدر ..

ويروى الشهرستانى فى الملل والنحل : كان غيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد وفى الإمامة
أنها تصلح فى غير قریش من كان قائماً بالكتاب والسنة فهو مستحق لها ولا تثبت إلا بإجماع الأمة
.. وقيل تاب عن القول بالقدر على يد عمر بن عبدالعزيز فلما مات عمر جاهر بمذهبه فطلبه هشام بن
عبد الملك وأحضر الأوزاعى لناظرته فأفتى الأوزاعى بقتله . فصلب على باب كيسان بدمشق..

ومن خلال التأمل فى فكرة القدرية وهذه الروايات نخرج بأن المسألة لا تخرج عن كونها مسألة
رأى لم يحتمله أهل السنة وتحرك الحاكم فبطش بصاحبه . إلا أن رواية الشهرستانى تعطينا بعداً آخر
للمسألة ينقلنا من جانب رأى إلى جانب السياسة حيث أنها تشير إلى أن غيلان تصدى لفكرة
القرشة ورفضها وهذا يمثل أكبر استفزازاً لخلفاء بنى أمية والعباس من بعدهم الذين يعتمدون على

فكرة النسب لعم الرسول وقريش وضرب هذه الفكرة فى صالح خصومهم الشيعة الذين يرفعون شعار آل البيت العلوى الذى تسترت به الدعوة العباسية فى بدايتها وبعد تمكنها انقلبت عليه .. يروى السيوطى : لما ولى يزيد بن الوليد دعا الناس إلى القدر وحملهم عليه وقرب أصحاب غيلان..

وهذه الرواية تشير إلى أن فكرة القدرية لا تستفز الحكام فى شئ ولذا تبناها يزيد وإنما استفزت الفقهاء وحدهم . وهذا من شأنه أن يؤكد أن غيلان راح ضحية السياسة وليس ضحية فكرة الجبر والاختيار ..



الجهيم بن صفوان

أضحية عيد الأضحى ..

برز الجهيم بن صفوان فى نهاية الحكم الأموى وناذى بفكرة القدر والجبر وعمل على إشاعتها فى العراق وخراسان ..

وقد أصبح الجهيم صاحب تيار ووجه بعداء شديد من قبل الفقهاء وتحولت كلمة الجهمية إلى كلمة مرادفة لكلمة الكفر ..

يقول الشهرستانى فى الملل والنحل : الجهمية أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وقاتله سالم بن أحوز المارنى بمرور فى آخر ملك بنى أمية ..

ويتبنى جهم فكرة تأويل صفات الله ورفض التشبيه والتجسيم ورؤية الله سبحانه التى تنادى بها الروايات التى يتبناها أهل السنة وهو بموقفه هذا يلتقى مع الشيعة والمعتزلة ..

إلا أن أهل السنة الذين اعتادوا على قلب الحقائق والتحدث بلغة الغالب وبناء المواقف على أساس أنهم الممثلون للحق وقد منحوا سلطة التفتيش فى عقائد الآخرين - نسبوا إلى جهم الكثير من الإدعاءات التى تدخله فى دائرة الزندقة وبالتالى تبيح دمه ..

ولقد نسب إلى جهم نفى صفت الله وأن الجنة والنار تفنيان وأن من عرف الله ولم ينطق بالإيمان لم يكفر لأن العلم لا يزول بالصمت ..

ولعل تبنى جهم فكرة الخروج على السلطان الجائر التى نادى بها الخوارج كانت السبب المباشر الذى أدى إلى مقتله . إذ أن سيرته تؤكد أنه كان قريباً من البلاط الأموى ولكن وقعت النقمة عليه لتجاوزه الحد وانتقاله من الدعوة إلى فكرة الجبر التى تخدم الخلفاء والحكام وتبرر إنحرافهم ومظالمهم إلى الدعوة للخروج عليهم ..

ويروى أن مؤسس اتجاه جهم هو الجعد بن درهم مولى بنى الحكم وكان يسكن الشام وعلى صلة وثيقة بالبيت الأموى وقد تولى تربية أولاد بعض الخلفاء ومنه أخذ جهم فكرة الجبر ..

ويروى أيضاً أن عطاء بن يسار وهو أحد قضاة بنى أمية كان يتبنى اتجاه معبد الجهنى الذى يقول

بالإختيار سأل الحسن البصرى قائلاً : يا أبا سعيد إن هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم ويقولون إنما تجرى أعمالنا على قضاء الله وقدره ..

فقال الحسن : كذب أعداء الله ..

وكان قد قبض على الجهد بن درهم وحكم بقتله ونفذ الحكم فى عيد الأضحى ..



ابن المقفع

شهير الترجمان ..

أسلم عبد الله بن المقفع فى أوائل العصر العباسى على يد عيسى بن على عم المنصور الخليفة وكان على دين المجوس ..

يروى ابن خلكان عن الجاحظ قوله فيه : إن ابن المقفع ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد كانوا يتهمون فى دينهم . وكان المهدي بن المنصور يقول : ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع .. وقال الأصمعى : صنف ابن المقفع المصنفات الحسان منها (الدرة اليتيمة) التى لم يصنف فى غيرها مثلها . وقيل له : من أدبك ؟ فقال : نفسى . إذا رأيت من غيرى حسناً أتيتته وإن رأيت قبيحاً أبيتته .. واجتمع ابن المقفع بالخليل بن أحمد صاحب العروض فلما افترقا قيل للخليل : كيف رأيتته ؟ فقال : علمه أكثر من عقله .

وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ فقال : عقله أكثر من علمه

وابن المقفع هو الذى قام بنقل كتاب (كليلة ودمنة) إلى العربية . وله شعر مذكور فى كتاب (الحماسة) ..

وقد اختلفت الروايات فى سبب قتله . فقيل قتل بتهمة الزندقة . وقيل قتل بسبب تهجمه على والى البصرة . وقيل قتل بسبب تهجمه على المنصور ..

يروى أن عبد الله بن على عم المنصور لما ثار عليه وطلب الخلافة لنفسه وانهزم على يد أبى مسلم الخرسانى أرسل فى طلب الأمان من المنصور . فجاء أخويه سليمان وعيسى إلى البصرة وطلبوا من ابن المقفع أن يكتب لهما كتاباً للمنصور وأمره أن يبالغ فيه على التأكيد كى لا يقتله . فكتب ابن المقفع الأمان وشدد فيه حتى قال فى جملة فصوله : ومتى غدر أمير المؤمنين بعمة عبد الله بن على فنساؤه طوالق . ودوابه حبس . وعبدة أحرار والمسلمون فى حل من بيعته ..

فلما وقف المنصور على الكتاب عظم ذلك عليه وقال : من كتب هذا ؟ قالوا : رجل يقال له ابن

المقفع يكتب لأعمامك . فكتب إلى سفيان وإلى البصرة يأمره بقتله ..
وذكر شمس الدين أبو المظفر فى تاريخه المسمى (مرآة الزمان) الكثير من أخبار ابن المقفع وما
جرى له وقتله فى سنة خمس وأربعين ومائة ..

وقال المدائنى : لما أدخل ابن المقفع على سفيان . قال له : أتذكر ما كنت تقول فى أمى ؟
فقال: أنشدك الله أيها الأمير فى نفسى . فقال : أمى مغتلمة إن لم أقتلك قتله لم يقتل بها
أحد. وأمر بتنور فسجر ثم أمر بابتن المقفع فقطعت أطرافه عضواً عضواً. وهو يلقيها فى التنور وهو
-أى ابن المقفع- ينظر حتى أتى على جميع جسده ثم أطبق عليه التنور وقال ليس على فى المتلة بك
حرج لأنك زنديق وقد أفسدت الناس ..

ويبدو لنا من خلال استقراء الروايات التاريخية الخاصة بابن المقفع وغيره من أصحاب الرأى فى
تاريخ المسلمين إن تهمة الزندقة كانت الساتر الذى يتستر به الحكام ويبررون على أساسه إراقة دماء
أصحاب الرأى ..

وفيما يخص ابن المقفع هنا فإننا نشك فى تلك الروايات التى تشير إلى تهجمه على المنصور أو
والى البصرة كما نشك فى الرواية التى تتهمه بالزندقة .

فقد اعترف شهود عصره له بالمكانة العالية بين أهل الأدب وحسن الخلق وهذا يتنافى مع ما ينسب
إليه من نهجمه على المنصور ووالى البصرة والتى لا تدل إلا على سفاهة وقلة عقل إذ بهذا الموقف
يضع رقبته تحت السيف ..

يروى ابن خلكان ان ابن المقفع كان يستخف بسفيان كثيراً . وكان انف سفيان كبيراً فكان إذا
دخل عليه قال : السلام عليكما يعنى نفسه وأنفه .

وقال سفيان يوماً : ما ندمت على سكوت قط .

فقال له ابن المقفع : الحرس زين لك فكيف تندم عليه .

والظاهر أن المؤرخين يريدون التأكيد على أن ابن المقفع كان يحتمى بأعمام المنصور . ولو صح هذا
التصور لأمكن لهما إنقاذه من القتل ..

ويروى أن سليمان وعيسى أعمام المنصور شفعا له عنده تصوراً منهما أن قتله كان بأمر سفيان
وحده . إلا أنهما عندما تبين لهما أن المنصور هو الذى أمر بقتله تراجعاً عن محاولتهما إنقاذه . وهذا
يعنى أن مكانتهما عند المنصور كانت مهزوزة بسبب خروج شقيقهما عبد الله عليه ..

إن ماجاء على لسان المهدي - قبل أن يتولى الخلافة ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع
- إنما يؤكد لنا أن ابن المقفع كان له دوراً بارزاً فى مسألة الترجمات من الفارسية إلى العربية بما تحمل
هذه الترجمات من أفكار وآراء تمثل استفزازاً كبيراً للفقهاء والخط السائد . وإن هذا الدور الذى لعبه
ابن المقفع فى هذا الميدان هو الذى قاده إلى الموت ..



بشار بن برد

ينسب بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي إلى الموالي وهو مولى قبيلة عقيل بن كعب وأصله من طخارستان من سبى المهلب بن أبي صفرة سكن البصرة ونبع في الشعر والرواية عن الشعراء . وقد ترجم له الأصبهاني في الأغاني ترجمة طويلة . كذلك الخطيب في تاريخ بغداد .. ومن شعره :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن . . . بحزم نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل للشورى عليك غضاظة . . . فريش الخوافي نابع للقوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها . . . وما خير سيف لم يؤيد بقائم

وله البيت المشهور :

هل تعلمين وراء الحب منزلة . . . تدنى إليك فإن الحب أقصاني

وله أيضاً :

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة . . . والأذن تعشق قبل العين أحياناً
قالوا بمن لا ترى تهذى فقلت لهم . . . الأذن كالعين توفى القلب ماكانا

يروى ابن خلكان : ان بشار كان يمدح المهدي العباسي ورمى عنده بالزندقة فأمر بضربه فضرب سبعين سوطاً فمات من ذلك في البطيحة بالقرب من البصرة فجاء بعض أهله فحمله إلى البصرة ودفنه بها وذلك سنة سبع . وقيل ثمان وستين ومائة . وقد نيف على تسعين سنة ..

وينسب إليه أنه كان يفضل النار على الأرض . ويصوب رأى إبليس في امتناعه عن السجود لآدم (ص) . وينسب إليه في ذلك بيتاً يقول :

الأرض مظلمة والنار مشرقة . . . والنار معبودة مذ كانت النار

وروى إنه فتشت كتبه فلم يصب فيها شئ مما كان يرمى به . وأصيب له كتاب فيه : أنى أردت هجاء آل سليمان بن علي بن عبد الله بن العباسي فذكرت قرابتهم من الرسول فامسكت عنهم ..

وروى الطبري في تاريخه : كان سبب قتل المهدي لبشار أن المهدي ولي صالح بن داود أخوا يعقوب بن داود وزير المهدي ولاية فهجاه بشار بقوله ليعقوب :

هم حملوا فوق المنابر صالحاً . . . أخاك فضجت من أخيك المنابر

فبلغ يعقوب هجاؤه . فدخل على المهدي وقال له : إن بشاراً هجاك . قال وريك ماذا قال ؟ قال : يعقوبى أمير المؤمنين من إنشاد ذلك . فقال : لا بد . فأنشده :

خليفة يزنى بعماته . . . يلعب بالديوق والصولجان

أبدلنا الله به غيره . . . ودس موسى فى حر الخيزران

فطلبه المهدي . فخاف يعقوب أن يدخل عليه فيمدحه فيعفو عنه فوجه إليه من ألقاه فى البطيحة .. ويروى ابن العماد فى شذرات الذهب ج ١ أحداث عام ١٦٧ هـ : وفيها قتل فى الزندقة بشار بن برد البصرى الأعمى المشهور كان أكمه جاحظ العينين فصيحاً مغوها وكان يمدح المهدي فرمى عنده بالزندقة فضره حتى مات ..

وقال ابن قاضى شهبه : زنادقة الدنيا أربع : بشار بن برد وابن الرواندى وأبو حيان التوحيدى وأبو العلاء المعرى ..

وهؤلاء الثلاثة اقلتوا من القتل على الرغم من صور التضيق والحصار الذى فرض من حولهم فقد خدمتهم ظروف مجتعاتهم ..

يروى ابن خلكان عن أحمد بن يحيى بن إسحاق الرواندى العالم المشهور له مقالة فى علم الكلام وكان من الفضلاء فى عصره وله من الكتب المصنفة نحو من مائة وأربعة عشر كتاباً . منها كتاب (فضيحة المعتزلة) وكتاب (التاج) وكتاب (الزمرد) وكتاب (القصب) وغير ذلك . وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام . وقد انفرد بمذاهب نقلها أهل الكلام عنه فى كتبهم . توفى سنة خمس وأربعين ومائتين .. (ج ١ / ٣٥)

وهذا الموقف المناصر لابن الرواندى من ابن خلكان لم يعجب فقهاء عصره والمؤرخين الذين اعتبروه لم ينصف فى سكوته عن ابن الرواندى وهو من مشاهير الزنادقة عندهم وعدوه قد أخطأ فى عدم تجريحه وذكر ضلالاته ومخازيه ..

ومن هؤلاء الذين زندقوه ابن الجوزى والذهبي وابن كثير وابن العماد وغيرهم ..

أما أبو العلاء فقد أتهم بالزندقة من بعض الفقهاء والمؤرخين دون ابن خلكان الذى اتخذ منه نفس

الموقف الذي اتخذته من ابن الراوندى ..

يروى ابن العماد فى شذرات الذهب ج ٣ أحداث عام ٤٤٩ هـ : وفيها توفى أبو العلاء المعرى اللغوى الشاعر صاحب التصانيف المشهورة والزندقة المأثورة والذكاء المفرط والزهد الفلسفى وله ست وثمانون سنة . ذهب بصره وهو صغير ولعله مات على الإسلام وتاب من كفرياته وزال عنه الشك . وأوحى أن يكتب على قبره :

هذا جناه أبى على وما جنيت على أحد

وقيل كان فاسد العقيدة يظهر الكفر ويزعم أن له باطناً وأنه مسلم فى الباطن وأشعاره الدالة على كفره كثيرة منها :

أتى عيسى فأبطل شرع موسى . . . وجاء محمد بصلاة خمس
وقالوا لا نبى بعد هذا . . . فضل القوم بين غد وأمس
ومهما عشت فى دنياك هذى . . . فما يخليك من قمر وشمس
إذا قلت المحال رفعت صوتى . . . وإن قلت الصحيح أطلت همسى

كذلك الحال بالنسبة للتوحيدى الذى شقى بعقله وضاق بالناس ولم يجد من يفقه فأتهم بالزندقة وكفر بالعلم وضاق به السبل فأحرق كتبه ..

ومن سوء حظ بشار بن برد أنه وجد فى عصر المهدي المتعصب ضد المسلمين وغير المسلمين والذى اعلم سيفه فى أصحاب الرأى والاتجاهات الأخرى بتهمة الزندقة

ويروى السيوطى فى تاريخ الخلفاء عن أحداث عام ١٦٦ هـ فى سيرة المهدي : وفيها جد المهدي فى تتبع الزنادقة وابدانهم والبحث عنهم فى الآفاق والقتل على التهمة ..



صالح بن عبد القدوس

قتله شعره ..

هو صالح بن عبد القدوس البصرى من الموالى وهو مولى الأزده . لقي حتفه على يد المهدي العباسى بسبب بيتين من الشعر نسبا إليه ..

يروى صاحب معجم الأدياء : صالح بن عبد القدوس الشاعر الحكيم اتهمه المهدي بالزندقة وضره بالسيف فشطره شطرين وصلبه عدة أيام ثم دفن ..

ويروى ابن خلكان فى وفيات الأعيان ج ٢ ترجمة رقم ٣٠٣ : أبو الفضل صالح بن عبد القدوس البصرى مولى الأزده أحد الشعراء اتهمه المهدي بالزندقة فأمر بحمله فأحضر فلما خاطبه أعجب بغزارة أدبه وعلمه وبراعته وحسن بيانه وكثرة حكمته فأمر بتخليه سبيله . فلما ولى رده وقال ألسنت القائل:

والشيخ لا يترك أخلاقه . . . حتى يوارى فى ثرى رسمه

إذا أرعوى عاد إلى جهله . . . كذى الضنى عاد إلى نكسه

قال : بلى يا أمير المؤمنين ..

قال : فأنت لا تترك أخلاتك ونحن نحكم فيك بحكمك فى نفسك .

ثم أمر به فقتل وصلب على الجسر ..

ويروى : أن المهدي أبلغ عنه أبياتاً عرض فيها بذكر النبي (ص) فأحضره المهدي وقال له : أنت لقائل هذه الأبيات ؟

قال : لا والله يا أمير المؤمنين . ما أشركت بالله طرفة عين . فاتق الله ولا تسفك دمي على الشبهة . وقد قال النبي (ص) : أدراوا الحدود بالشبهات . وجعل يتلو عليه القرآن حتى رق له وأمر بتخليته . فلما ولى قال : أنشدنى قصيدتك السينية . فأنشده حتى بلغ إلى قوله فيها : والشيخ لا

يترك أخلاقه .. فأمر به حينئذ فقتل ..

ومن شعره :

- المرء يجتمع والزمان يفرق . . . ويظل يرقع والخطوب تمزق
وزن الكلام إذا نطقت فأبنا . . . يبدى عيوب ذوى العقول المنطق
ومن الرجال إذا استوت أعلامهم . . . من يستشار إذا استشير فيطرق
حتى يحيل بكل واد قلبه . . . فيرى ويعرف ما يقول وينطق
ما الناس إلا عاملان فعامل . . . قد مات من عطش وآخر يغرق
والناس في طلب المعاش فأبنا . . . بالجسد يرزق منهم من يرزق
لو يرزقون الناس حسب عقولهم . . . ألفت أكثر من ترى يتصدق
لكنه فضل المليك عليهم . . . هذا عليه موسع ومضيق
وإذا الجنازة والعروس تلاقيا . . . ورأيت دمع نوائح يتسرقق
سكت الذي تبع العروس مبهتا . . . ورأيت من تبع الجنازة ينطق

وكان قتله سنة سبع وستين ومائة ..

وقد عرف ابن عبد القدوس بالحكمة وكان يجلس فى مسجد البصرة يقص على الناس وله
مناظرات مع المتكلمين . ويتسم شعره بالأمثال والحكم . وله الكثير من الترجمات فى تاريخ بغداد
لابن الخطيب وتاريخ دمشق لابن عساكر وميزان الاعتدال للذهبي ..



العكوك

أخرجوا لسانه من قفاه ..

كان أبو الحسن علي بن جبلة بن مسلم المعروف بالعكوك من فحول الشعر ومشاهير الشعراء . ولد أعمى وكان من الموالى ..

روى ابن خلكان فى وفيات الأعيان ج ٣ ترجمة رقم ٤٦١ على لسان الجاحظ : كان أحسن خلق الله إنشاداً ما رأيت مثله بدويماً ولا حضرياً ..
ومن شعره :

بأبى من زارنى مكتتتما خائفاً من كل شئ جزعا
زائر نم عليه حسنه كيف يخفى الليل بدرأ طلعا
رصد الغفلة حتى أمكنت ورعى السامر حتى هجعا
ركب الأهوال فى زورته ثم ما سلم حتى ودعا

ويروى ابن المعتز فى طبقات الشعراء : لما بلغ المأمون خبر قصيدة قالها العكوك فى حميد بن عبد الحميد الطوسي التى قال فيها :

إنما الدنيا حميد وأياديه الجسام
فإذا ولى حميد فعلى الدنيا السلام

غضب غضباً شديداً وقال : أطلبوه حيشما كان واثونى به . فطلبوه فلم يقدروا عليه لأنه كان مقيماً فى الجبل . فلما اتصل به الخير هرب إلى الجزيرة الفراتية . وقد كانوا كتبوا إلى الأفاق إن

يؤخذ حيث كان . فهرب إلى الشامات فظفروا به فأخذوه وحملوه مقيداً إلى المأمون فلما صار بين يديه قال له : يا ابن اللخناء . أنت القاتل في قصيدتك للقاسم بن عيسى وهو أبو دلف :

كل من في الأرض من عرب . . . بين بسادية إلى حضرة
مستعير منك مكرمة . . . يرتديها يوم مفتخرة

جعلتنا ممن يستعير المكارم منه والافتخار به ..

قال : يا أمير المؤمنين . أنتم أهل بيت لا يقاس بكم لأن الله اختصكم لنفسه عن عباده وأتاكم الكتاب والحكم وأتاكم ملكاً عظيماً . وإنما ذهبت في قولي إلى أقران وأشكال القاسم بن عيسى من هذا الناس ..

فقال : والله ما أبقيت أحداً ولقد أدخلتنا في الكل . وما أستحل دماي بكلمتك هذه . ولكني أستحله بكفرك في شعرك حيث قلت في عبد ذليل مهين فأشركت بالله العظيم وجعلت معه مالكاً قادراً وهو :

أنت الذي تنزل الأيام منزلها . . . وتنقل الدهر من حال إلى حال
وما مددت مدى طرف إلى أحد . . . إلا قضيت بأرزاق وأجال

ذاك الله عز وجل يفعل . أخرجوا لسانه من قفاه . فأخرجوا لسانه من قفاه فمات وكان ذلك في سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد ..

ورثاه أبو العتاهية بقوله :

أبا غانم أما ذراك فواسع . . . وقبرك معمور الجوانب محكم
وما ينفع المقبور عمران قبره . . . إذا كان فيه جسمه يتهدم



أحمد الخزاعي

صلب ست سنوات ..

سار الواثق العباسي على نهج أبيه المعتصم وجده المأمون في التمسك بفكرة خلق القرآن والتعصب لها والبطش بالرافضين لها ..

وفي عام ٢٣١ هـ أصدر أمره إلى والي البصرة أن يمتحن الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن فعم البلاء والكرب على فقهاء السنة ..

بروى السيوطي : وفي هذه السنة قتل أحمد بن نصر الخزاعي وكان من أهل الحديث قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحضره من بغداد إلى سامرا مقيداً وسأله عن القرآن : فقال : ليس بمخلوق . وعن الرؤية في القيامة . فقال : كذا جاءت الرواية .. وروى له الحديث . فقال له الواثق : تكذب . فقال للواثق : بل تكذب أنت . فقال : ويحك يرى كما يرى المحدود والمتجسم وسحويه مكان ويحصره الناظر إنما كفرت برب هذه صفته . ما تقولون فيه ؟

فقال جماعة من فقهاء المعتزلة الذين حوله : هو حلال الضرب . فدعا بالسيف وقال إذا قمت إليه فلا يقوم أحد معي فإني احتسب خطائي إلى هذا الكافر الذي يعبد رباً . لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها ثم أمر بالنطع فأجلس عليه وهو مقيد فمشى إليه فضرب عنقه وأمر بحمل رأسه إلى بغدا : فصلب بها وصلبت جثته في سامرا واستمر ذلك ست سنين إلى أن ولي المتوكل فأنزله ودفنه ولما صلب كتب ورقة وعلقت في إذنه فيها هذا رأس أحمد بن نصر الخزاعي دعاه عبد الله الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن ونفى التشبيه فأبى إلا المعاندة فعجله الله إلى تاره . ووكل بالرأس من يحفظه ويصرفه عن القبلة يرمح ..

ويروي ابن العماد في شذرات الذهب ج ٢ أحداث عام ٢٣١ هـ : وفيها قتل أحمد بن نصر الخزاعي الشهيد كان من أولاد الأصماء فنشأ في علم وصلاح وكتب عن مالك وجماعة وحمل عن هشيم مصنفاته وما كان يحدث ويزري على نفسه . قتله الواثق بيده لامتناعه عن القول بخلق القرآن ولكونه أغلظ للواثق في الخطاب . وكان رأساً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..

وعلى الرغم من خطأ الرأي الذي تبناه الخزاعي وتصادمه مع نصوص القرآن وهو تبيينه للروايات التي تنسب إلى الرسول (ص) والتي تتعلق بصفات الله سبحانه وتحدده وتجعل له يداً ورجلاً وعيناً وأنه يرى يوم القيامة من قبل الناس ويكلمونه ويضحك ويهبط ويصعد وغير ذلك مما أشارت إليه هذه الروايات التي رفضت من قبل الشيعة والمعتزلة الذين تحالف معهم المأمون والمعتصم والواثق ..

وعلى الرغم من خطأ فكرة القرآن غير مخلوق التي تبناها الحنابلة وأهل السنة . على الرغم من ذلك فإننا تشجب بقوة موقف الواثق وسلوكه الوحشي مع الخزاعي كما نشجب موقف المعتزلة الذين ينادون بالالتزام بالعقل لتحالفهم مع هذا الطاغية ضد أهل السنة وفتواهم بإباحة دم الخزاعي .

إن الرأي إنما يسود ويتمكن بالحجة والبرهان والحوار لا بالقوة والنفوذ والسيوف . وإن ما تفرضه السيوف هو السياسة وليس الدين .

ولقد جاء المتوكل من بعد الواثق فأنحاز إلى أهل السنة ويطش بالمعتزلة والشيعة والاتجاهات الأخرى . ولقن المعتزلة درساً متأخراً وعاه الشيعة من قبلهم فرفضوا الانحياز للحكام أصحاب السيوف الذين لا يخدمون الرأي وإنما يخدمون مصالحهم ونفوذهم ..



ابن السكيت

شهير آل البيت ..

عاصر يعقوب ابن اسحاق المعروف بابن السكيت فترة حكم المتوكل العباسي وهي فترة تعصب وإضطهاد للتيارات الأخرى المنافسة لأهل السنة الذين تبني المتوكل عقيدتهم ونصر مذهبهم وأطلق أيديهم فبطشوا بالمخالفين ودعوا له على المنابر واعتبروه من الراشدين خاصة بعد أن قام بدعم أهل الرواية أو من يطلق عليهم أهل الحديث وأجزل عطاياهم وأكرمهم وكان زمانه زمان المحدثين كبت فيه أهل العقل والتأويل وتفرقوا في البلاد ما بين شريد وطريد ..

وفي ظل هذا الواقع برز ابن السكيت الذي يقول فيه ابن العماد في شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٢ / أحداث عام (٢٤٤ هـ) ابن السكيت النحوى صاحب كتاب إصلاح المنطق وتفسير داوود الشعرء وغير ذلك سبق أقرانه في الأدب مع حظ وافر في السنن والدين ..

وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان ج ٦ / ترجمة رقم ٨٢٧ : كان ابن السكيت يتصرف في أنواع العلوم وكان أبوه رجلاً صالحاً . وكان من أصحاب أبى الحسن الكسائي حسن المعرفة بالعربية ونقل عن ثعلب قوله : أجمع أصحابنا أنه لم يكن بعد ابن الإعرابى أعلم باللثة من ابن السكيت ونقل عن بعضهم قوله : ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل (إصلاح المنطق) ولا شك إنه من الكتب النافعة للمتعة الجامعة لكثير من اللغة ولا تعرف في حجمه مثله في بابيه ..

ولابن السكيت الكثير من المصنفات منها : كتاب (الألفاظ) وكتاب (الأمثال) وكتاب (المقصو والمدود) وكتاب (المذكر والمؤنث) وكتاب (الأجناس) وكتاب (الأصوات) وكتاب (الأضداد) وكتاب (النوادر) وكتاب (معانى الشعر الكبير) وكتاب (معانى الشعر الصغير) وكتاب (سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه) وغير ذلك ..

وكان لابن السكيت تعر منه :

- ١٠. ومن الناس من يحبك حباً
- ١١. ظاهر الحب ليس بالتقصير
- ١٢. فإذا ما سألته عشر فلس
- ١٣. الحق الحب باللطيف الخبير

ومنه ما قاله في المعتز ابن المتوكل :

- ١٤. يصاب الفتى من عشرة بلسانه
- ١٥. وليس يصاب المرء من عشرة الرجل
- ١٦. فعشرته في القول تذهب رأسه
- ١٧. وعشرته بالرجل تبرأ في مهل

ومنه :

- ١٨. إذا اشتملت على اليأس القلوب
- ١٩. وضاق لما به الصدر الرحيب
- ٢٠. وأوطنست المكساره واستقرت
- ٢١. وأرست في أماكنها الخطوب
- ٢٢. ولم تر لانكتشاف الضر وجهاً
- ٢٣. ولا أغنى بحيلته الآرب
- ٢٤. أتاك على قنوط منك غوث
- ٢٥. يمين به اللطيف المستجيب
- ٢٦. وكل الحادثات إذا تناهت
- ٢٧. فموصول بها فرج قريب

وروى ابن خلكان أن المتوكل كان كثير التحامل على على بن أبي طالب وعلى الحسن والحسين . وكان قد أزم ابن السكيت بتأديب ولده المعتز بالله .

وعن قصة مقتله يروى ابن خلكان عن أحمد بن عبيد قال : شاورني ابن السكيت في منادمة المتوكل فنهيته فحمل قولي على الحسد وأجاب إلى ما دعى إليه من المنادمة فيينا هو مع المتوكل يوماً جاء المعتز والمؤيد فقال له المتوكل : أيما أحب إليك . ابناي هذان أم الحسن والحسين ؟ فغض ابن السكيت من ابنيه وذكر من الحسن والحسين ما هما أهله . فأمر الأتراك فذاسوا بطنه فحمل إلى داره . فمات بعد غد ذلك اليوم ..

وكان ابن السكيت يميل في رأيه واعتقاده إلى مذهب من يرى تقديم على بن أبي طالب أي على الخلفاء الثلاثة . وكان من المغالين في حب آل البيت ..

وفي رواية أخرى كان رد ابن السكيت على المتوكل أشد وأكثر تطرفاً حيث قال : والله ان قنبر خادم الإمام على خير منك ومن ابنيك .

فقال المتوكل في غضب : سلوا لسانه من قفاه . ففعلوا ذلك به فمات في عام ٢٤٤ هـ في شهر رجب ..



النسائي

مات ضحية رواياته ..

كان عصر أحمد بن علي بن شعيب النسائي هو عصر الجمع والتدوين للروايات وقد عاصر البخاري ومسلم وغيرهما من جامعي الأحاديث وحاز على مكانة عالية بين فقهاء الحديث في عصره فتقدمهم وكان عمدتهم وقدمتهم ..

وقد سكن مصر فترة من الزمن واشتهر بها وأنتجت تصانيفه بها وأخذ عنه الناس ثم رحل منها في عام ٣٠٢ هـ ..

يروى ابن خلكان : ان النسائي فاروق مصر في آخر عمره وخرج إلى دمشق فسئل عن معاوية وماروى من فضائله . فقال : أما يرضى معاوية أن يخرج رأساً برأس حتى يفضل ؟

وفى رواية أخرى : ما أعرف له فضيلة إلا (لا شبع الله بطنك) وكان يتشيع فما زالوا يدفعون حضنه حتى أخرجوه من المسجد .

وفى رواية أخرى : يدفعون في خصيبه وداسوه ثم حمل إلى الرملة فمات بها .

وقال الدار قطني : لما امتحن النسائي بدمشق . قال : أحملوني إلى مكة فحمل إليها فتوفى بها وهو مدفون بين الصفا والمروة ..

وكان قد صنف كتاب (الخصائص) في فضل علي بن أبي طالب وأهل البيت . فقيل له : ألا تصنف كتاباً في فضائل الصحابة . فقال : دخلت دمشق والمنحرف عن علي كثير فأردت أن يهديهم الله تعالى بهذا الكتاب ..

وقال السيوطي في حسن المحاضرة : النسائي الحافظ شيخ الإسلام أحد الأئمة المبرزين والحفاظ المتقين والإعلام المشهورين جال البلاد واستوطن مصر ..

وقال الحاكم : النسائي أفته مشايخ أهل مصر في عصره وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار وأعرفهم بالرجال ..

وقال الذهبي : هو أحفظ من مسلم له من المصنفات السنن الكبرى والصغرى وهى إحدى الكتب الستة وخصائص على ومسنند على ومسنند مالك ولد سنة خمس وعشرين ومائتين ..

وقال ابن العماد فى شذرات الذهب ح ٢ أحداث عام ٣٠٣ هـ : وفيها توفى الإمام أحد الاعلام صاحب المصنفات التى منها السنن أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي - نسبة إلى نسا مدينة بخراسان - توفى ثالث عشر صفر وله ثمان وثمانون سنة سمع قتيبة وأسحق وطبقتهما بخراسان والحجاز ومصر والشام والعراق والجزيرة وكان رئيساً نبيلاً حسن البزة كبير القدر خرج حاجاً فامتحن بدمشق وأدرك الشهادة ..

إن مصرع النسائي على يد أنصار معاوية والمتعصبين له من أهل الشام بسبب رفضه الاعتراف به ونقل الروايات التى تمدحه وتحسن صورته فى أعين المسلمين - يمثل أكبر إداة لعصر الروايات ومن جهة أخرى هو يكشف لنا أن الاتجاه الغالب فيما يتعلق بالجمع والتدوين هو الاتجاه المناصر لخط معاوية والخط الحكومى الذى ساد بداية من أبى بكر وحتى العباسيين . وهو الخط المعادى لاتجاه الإمام على وشيعته . فمن ثم أعتبر النسائي شاذاً عن الناس وعن أهل السنة لاهتمامه بالإمام على وجمع الروايات فى فضله على لسان الرسول (ص) ..

وكان نتيجة هذا الموقف إن أعتدى عليه الشوام أنصار معاوية وخطه بالضرب حتى مات دون أن يحاول أحد نصرته أو الدفاع عنه ..

ويبدو أن موقف النسائي من معاوية كان عنيفاً وصلباً ويظهر هذا من تحديه لأنصاره بذكر الرواية الشهيرة التى أوردها مسلم فى كتابه والتى تنص على أن رسول الله (ص) أرسل ابن عباس فى المدينة ليستدعى له معاوية ليكتب له كتاباً . فعاد ابن عباس إلى الرسول يقول : إنه يأكل يا رسول الله . فقال الرسول : لا أشبع الله بطنه ..

ومثل هذه الرواية إنما تدم معاوية لا تمدحه وقد مثل ذكرها استفزازاً كبيراً لأنصار معاوية دفع بهم إلى ضربة حتى الموت ..

ومن المعروف أن البخارى لم يرو شيئاً فى معاوية سوى رواية واحدة جاءت على لسان ابن عباس وليس على لسان الرسول وقد وضعها تحت باب أسماه (باب ذكر معاوية) . وجاء ابن حجر شارح البخارى فأقر واعترف بذلك ونقل الكثير من الأقوال التى تؤكد عدم صحة الروايات الخاصة بمعاوية . وعلى رأسها مقالة اسحاق بن راهوية أستاذ البخارى وغيره من المحدثين التى قال فيها : لم تصح فى معاوية منقبة ..

إن موقف النسائي هذا إنما يعكس لنا شجاعته فى الرأى وصلابته فى التمسك به وبرهنته على صحته . إلا أنه جهر به فى ظل عصر الجمود والإنغلاق والتعصب فكانت النتيجة أن سقط شهيداً لرأيه ورواياته ..



الحلاج

اتفق المؤرخون على أن الحسين بن منصور الحلاج زاهد مشهور كان يظهر التصوف والكرامات وهو فارسي الأصل نشأ بالعراق ..

وينقل المؤرخون إختلاف الناس فيه بين معظم له ومكفر ..

يقول ابن خلكان فى وفيات الأعيان ج ٢ . ترجمة رقم ١٨٩ : الناس فى أمره مختلفون فمنهم من يبالغ فى تعظيمه ومنهم من يكفره . ورأيت فى كتاب مشكاة الأنوار للغزالي فصلاً طويلاً عن حاله وقد اعتذر عن الألفاظ التى كانت تصدر عنه مثل قوله (أنا الحق) وقوله (ما فى الجبة إلا الله) وهذه الإطلاقات التى ينبو السمع عنها وعن ذكرها وحملها كلها على محامل حسنة وأولها . وقال : هذا من فرط المحبة وشدة الوجد ..

وقال ابن الأثير فى تاريخه ج ٨ / ١٢٦ : كان يظهر الزهد والتصوف والكرامات ويخرج للناس فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء ، ويمد يده فى الهواء ويعيدها مملوءة دراهم عليها مكتوب : قل هو الله أحد ويسميها دراهم القدرة ويخبر الناس بما يأكلون وما يصنعون فى بيوتهم . ويتكلم بما فى ضمائر الناس . فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول . وبالجملة فإن الناس اختلفوا فيه اختلفهم فى المسيح (ع) . فمن قائل إنه حل فيه جزء إلهى ويدعى فيه الربوبية .

ومن قائل انه ولى الله تعالى وان الذى يظهر منه من جملة كرامات الصالحين .

ومن قائل إنه ممخوق ومستغش وشاعر كذاب ومتكهن والجن تطيعه فتأتيه بالفاكهة بغير أوانها .

وكان قدم من خراسان إلى العراق وسار إلى مكة فأقام بها سنة فى الحجر لا يستظل تحت سقف شتاءً ولا صيفاً . وكان يصوم الدهر فإذا جاء العشاء أحضر له الخادم كوز ماء وقرصاً فيشره وبعض من القرص ثلاث عضات من جوانبه ويترك الباقي ولا يأكل شيئاً آخر إلى آخر النهار . وكان شيخ

الصوفية بمكة عبدالله المغربي يأخذ أصحابه إلى زيارة الحلاج فلم يجده في الحجر وقيل قد صعد إلى جبل أبي قبيس . فصعد إليه فرآه على صخرة حافياً مكشوف الرأس والعرق يجرى منه إلى الأرض . فأخذ أصحابه وعاد ولم يكلمه وقال : هذا يتصبر ويتقوى على قضاء الله وسوف يبتليه الله بما يعجز عنه صبره وقدرته وعاد الحسين إلى بغداد ..

وقد نسب إلى الحجاج شعراً يقول :

لا كنت أن كنت أدري كيف كنت ولا . . . لا كنت أدري كيف لم أكن

ويقول :

اللقاء في اليم مكتوفاً وقال له . . . إيساك إيباك أن تبتل بالماء

ويروى ابن خلكان عن العباس بن سريح كان إذا سئل عن الحلاج قال : هذا رجل خفى عنى حاله وما أقول فيه شيئاً ..

وكان قد جرى منه كلام في مجلس حامد بن العباس وزير المقتدر العباس بحضرة القاضي أبي عمر فأفتى بحل دمه وكتب خطه بذلك كتب معه من حضر المجلس من الفقهاء . فقال لهم الحلاج : ظهري حمى ودمي حرام وما يحل لكم أن تتأولوا على بما يبيحه وأنا اعتقادي الإسلام ومذهبي السنة وتفضل الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين وبقية العشرة من الصحابة ولى كتب في السنة موجودة في الوراقين فالله الله في دمي ولم يزل يردد هذا القول وهم يكتبون خطوطهم إلى أن استكملوا ما احتاجوا إليه ونهضوا من المجلس وحمل الحلاج إلى السجن ..

وكتب الوزير إلى المقتدر يخبره بما جرى في المجلس وسير الفتوى فعاد جواب المقتدر بأن القضاة إذا كانوا قد ائتوا بقتله فليسلم إلى صاحب الشرطة وليتقدم إليه بضربه ألف سوط فإن مات من الضرب وإلا ضربه ألف سوط أخرى ثم تضرب عنقه . فسلمه الوزير إلى الشرطي وقال له ما رسم به المقتدر وقال : إن لم يتلف بالضرب فتقطع يده ثم رجله ثم يده ثم رجله ثم تحز رقبتة وتحرق جشته وإن خدعك وقال لك : أنا أجرى الفرات ودجلة ذهاباً وفضة فلا تقبل ذلك منه ولا ترفع العقوبة عنه . فتسلمه الشرطي ليلاً في ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة فأخرجه عند باب الطاق واجتمع من العامة خلق كثير لا يحصى عددهم وضربه الجلاد ألف سوط ولم يتأوه بل قال للشرطي لما بلغ ستمائة : أدع بي إليك فإن لك عندي نصيحة تعدل فتح قسطنطينية . فقال له : قد قيل لي عنك أنك تقول هذا وأكثر وليس إلى أن أرفع الضرب عنك سبيل . فلما فرغ من ضربه قطع أطرافه الأربعة ثم حز رأسه وأحرق جشته ولما صارت رماداً ألقاها في دجلة . ونصب الرأس ببغداد على الجسر وجعل أصحابه بعدون أنفسهم يرجوعه بعد أربعين يوماً ..

وقال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٢ / ٢٥٣ في ترجمة الحلاج :

تصوف الحجاج وصحب سهل بن عبدالله التستري ثم قدم بغداد فصحب الجنيد والنوري وتعبد فيالغ في المجاهدة والترقب ثم فتن ودخل عليه الداخل من الكبر والرياسة فسافر إلى الهند وتعلم السحر فحصل له به حال شيطاني وهرب منه الحال الإيماني ثم بدت منه كثرات اباحت دمه وكسرت صنمه واشتبه على الناس السحر بالكرامات ففضل به خلق كثير وقد جال هذا الرجل بخراسان وما وراء النهر والهند وزرع في كل ناحية زندقة . وأجمع فقهاء بغداد أنه قتل كافراً . وذكر قصة قتله .. والذي يظهر لنا من هذه الروايات أن هناك تخبط في الحكم على حال الحلاج وخلاف بين رموز عصره في أمره . وهذا وحده كاف للشك فيما نسب إليه من كفر وزندقة .

ومن جانب آخر فإن هذه الروايات التي تتعرض لكرامات الحلاج يشم منها رائحة الاختلاق إذ أن نسبة الخيال فيها عالية جداً بحيث تفوق حال الرسل (ص) فإن المعجزات التي وقعت على يد الرسل تعد ضئيلة بالقياس إلى المعجزات المنسوبة للحلاج ..

ويبدو لنا من خلال هذا الانتقام الوحشي من الحلاج من جلده وتقطيع أوصاله ثم ضرب عنقه وحز راسه وحرق جثته وذر رمادها في نهر دجلة . إن الأمر يشم فيه رائحة السياسة والعداء للسلطة القائمة ولا صلة له بهذه الإدعاءات التي نسبت إليه ..

ولو سلمنا بصحة هذه المعجزات التي ينسبونها إليه والتي وصلت إلى درجة قدرته على أن يجري الفرات ودجلة ذهباً وفضة ويفرى جلاده بشيء من هذا وما هو يعدل فتح القسطنطينية فإن ذلك يعني أنه يملك أن يدرأ الشر عن نفسه ويدفع عنها الموت ويلحق الأذى بمعذبيه . إلا أن شيئاً من هذا لم يحدث بل أن ما أكدته هذه الروايات هو أنه كان مستسلماً تماماً لمصيره وجلاده الذي أخذ يتعامل معه كما يتعامل مع الأضحية ..

يروى ابن خلكان أنه إطلع علي كتاب الشامل في أصول الدين لإمام الحرمين الجويني ووجد فيه أنه ذكر عن الحلاج أنه تحالف مع قوم لقلب الدولة وإفساد المملكة واستعطاف القلوب واستمالتها . وقد أنكر ابن خلكان هذا الإدعاء ..

وما يلفت النظر هنا ليس هو إنكار ابن خلكاك القاضي والذي يدور في فلك الحكم ويشارك فقهاء عصر الحجاج وعصره موقفهم المتشدد والمعادي للمخالفين لهم وللخط السائد . وإنما يلفت النظر هو أن هذا الكلام لإمام كبير من أئمة أهل السنة صاحب دور كبير في قمع المخالفين ومقاومة الرأي الآخر .. وهو في النهاية يؤكد ما أشرنا إليه من إن مسألة الحجاج مسألة سياسية وإن تهمة الزندقة كانت التهمة السائدة في ذلك الزمان والتي تلصق بالرموز والحركات الإسلامية المناهضة للحكم القائم ..

ولعل هذه الأبيات التي نسبت إليه وهو مصلوب تشير إلي ذلك :

طلبت المستقر بكل أرض . . . فلم أر لى بأرض مستقراً
أطعت مطامعي فاستعبدتني . . . ولو أنى قنعت لكنت حراً



محمد بن علي الشلمغاني

روى ابن العماد في شذرات الذهب ج ٢ عن أحداث عام ٣٢٢ هـ : وفيها اشتهر محمد علي الشلمغاني ببغداد وشاع أنه يدعى الألوهية وأنه يحيى الموتى وكثر ابتاعه فأحضره الوزير ابن مقلّة عند الخليفة الراضي بالله فسمع كلامه وأنكر الالهية . وقال إن لم تنزل العقوبة بعد ثلاثة أيام وأكثره تسعة أيام وإلا فدمى حلال . وكان هذا الشقى قد أظهرها الرفض - التشيع - ثم قال بالتناسخ والحلول ومخرق على الجهال وضل به طائفة وأظهر شأنه الحسين بن روح زعيم الرافضة فلما طلب هرب إلى الموصل وغاب سنتين ثم عاد وأدعى الالهية فتبعه فيما قيل الذي وزر للمقتدر الحسين بن الوزير عبيد الله بن وهب . فلما قبض عليه ابن مقله كبس بيته فوجد فيه رقاعاً وكتباً مما قيل عنه يخاطبونه في الرقاع بما لا يخاطب به البشر وأحضر فأصر على الإنكار . فقال الراضي للشلمغاني أنت زعمت أنك لا تدعى الربوبية ثم أحضر غير مرة وجرت لهم فصول وأحضرت الفقهاء والقضاة ثم أفتى الأئمة بإباحة دمه فأحرق في ذي القعدة ..

ويروى ابن الأثير في الكامل : في سنة اثنين وعشرين وثلاثة قتل أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي القرائر وشلمغان التي ينسب إليها قرية بنواحي واسط بالعراق . وسبب ذلك أنه قد أحدث مذهباً غالياً في التشيع والتناسخ وحلول الالهية فيه إلى غير ذلك .. وظهر عنه ببغداد أنه يدعى لنفسه الربوبية .. فلما كان في شوال قبض عليه الوزير ابن مقله وسجنه وكبس داره فوجد فيها رقاعاً وكتباً مما يدعى عليه أنه على مذهبه . فأنكر مذهبه وأظهر الإسلام وتبرأ مما يقال فيه وفي آخر الأيام أفتى الفقهاء بإباحة دمه فصلب ابن الشلمغاني ..

ويظهر لنا من هاتين الروايتين أن ما جرى لابن الشلمغاني في العصر العباسي يشبه إلى حد كبير ما يجري اليوم لأصحاب الفكر والرأى والفارق الوحيد بين الحالتين هو أسلوب معالجة القضية فقد اختلف لاختلاف الواقع ..

وفى دولة آل سعود اليوم يجرى لأصحاب الفكر والرأى ما كان يجرى لهم فى العصور السابقة حتى أنهم لازلوا يقتدون بسلفهم من حكام بنى أمية والعباس فى التمسك بسنة ضرب الرقاب بالسيف الذى وضعوه شعاراً لهم تحت كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله وكأنهم بهذا يؤكدون أن الإسلام دين الدم وقطع الرقاب ولا يعد هذا بفريب على حكم يعتبر امتداد لحكم بنى أمية والعباس . وقد ضبط مع الشلمغانى إبراهيم بن أبى عون وأحمد بن محمد بن عبدوس وابن شبيب الزيات والحسين بن القاسم بن عبید الله بن سليمان بن وهب وكانت الكتب التى تم ضبطها فى بيت الشلمغانى بخطوطهم . وقد أعدم ابن عود مع الشلمغانى بينما قبض على الحسين بن القاسم بالرقعة وأرسل إلى الراضى الذى أمر بقتله فى آخر ذى القعدة ..



عمارة اليمنى

حاول قلب نظام الحكم ..

جاء الفقيه عمارة بن أبي الحسن الحكيم اليمنى الملقب نجم الدين الشاعر المشهور إلى مصر عام (٥٥٠ هـ) في حكم الخليفة الفاتح الفاطمي والوزير الصالح بن رزيق رسولاً من قبل قاسم بن هاشم بن فليته صاحب مكة ..

وأشده يقول في مدحهما :

- الحمد للعيس بعد العزم والهمم حمداً يقوم بما أولت من النعم
- لا أجد الحق عندى للركاب يد تمنى اللجم فيها رتبة الخطم
- قرين بعد مزار العزم من نظرى حتى رأيت أمام العصر من أمم
- ورحن من كعبة البطحاء والحرم وفداً إلى كعبه المعروف والكرم
- فهل درى البيت أنى بعد فرقته ماسرت من حرم إلا إلى حرم
- حيث الخلافة مضروب سراقه بين النقيضين من عفو ومن نغم
- والإمامة أنوار مقدسة تجلو البغيضين من ظلم ومن ظلم
- وللنبوة آيات تنص لنا على الخفيين من حكم ومن حكم
- وللعلا ألسن تثنى محامدها على الحميديين من فعل ومن شيم
- وراية الشرف البذاخ ترفعها يد الرفيعين من مجد ومن همم

ثم غادر مصر إلى الحج وعاد إليها رسولاً من صاحب مكة مرة ثانية فأقام فيها ولم يفارقها حتى سقطت دولة الفاطميين وجرى له ما جرى ..

يروى ابن خلكان ج ٣ / ترجمة رقم ٤٨٩ : كان عمارة فقيهاً شافعيًا شديد التعصب لأهل السنة أديباً ماهراً شاعراً مجيداً ممتعاً . فأحسن الصالح بن زريك إليه كل الإحسان وصحبوه مع اختلاف العقيدة لحسن صحبته وله فى الصالح وولده مدائح كثيرة وزالت دولة المصريين وهم فى البلاد . ولما ملك صلاح الدين مدحه ومدح جماعة من أهل بيته ويتضمن ديوانه جميع ذلك وكتب الى صلاح الدين قصيدة متضمنة شرح حاله وضروبه وسماها شكاية المتظلم ونكاية المنالم وهى بديعة . ورثى أصحاب القصر عند زوال ملكهم بقصيدة لامية طويلة أجاد فيها .. ثم إنه شرع فى أمور وأسباب من الاتفاق مع جماعة من رؤساء البلد على التعصب للمصريين - الفاطميين - وإعادة دولتهم فأحس بهم السلطان صلاح الدين وكانوا ثمانية من الأعيان ومن جملتهم الفقيه عمارة وشنقهم يوم السبت ثانى شهر رمضان سنة تسع وستين وخمسائة بالقاهرة . وله تولى منها (أخبار اليمن) وفيه فوائد . ومنها (النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية) وغير ذلك ..

وقال العماد الأصبهاني فى الخريدة ج ٣ / ١٠٣ : أنه صلب فى جملة الجماعة الذين نسب إليهم التدبير على صلاح الدين ومكاتبة الأفرنج واستدعاهم إليه حتى يجلسوا ولد العاضد - آخر الخلفاء الفاطميين فأنتى الفقهاء بمصر بقتله وحرصوا السلطان على ائثله بثله ..

ويروى ابن العماد فى شذراته ج ٤ أحداث سنة ٤١٩ هـ : وفيها الفقيه عمارة بن على الحكيم اليمنى الشافعى نجم الدين نزيل مصر وشاعر العصر كان شديد التعصب للسنة أديباً ماهراً لم ينزل ماشى الحال فى دولة المصريين إلى أن ملك صلاح الدين فمدحه ثم أنه شرع فى أمور وأخذ فى اتفاق مع الرؤساء فى التعصب للبيديين وإعادة دولتهم فنقل أمرهم وكانوا ثمانية إلى صلاح الدين فشنقهم فى رمضان ..

ويروى ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة عن هذه السنة : وفيها قبض صلاح الدين على جماعة من أعيان الدولة العبيدية مثل داعى الدعاة وعمارة اليمنى وغيرهما . بلغه أنهم يجتمعون على إثارة الفتن واتفقوا مع السودان وكاتبوا الأفرنج قتل داعى الدعاة وصلب عمارة اليمنى ..

ويبدو لنا من خلال هذه الروايات إنها متناقضة . ففى الوقت الذى تمدح عمارة وتشنى عليه ، تنسبه إلى متعصبى أهل السنة . تنسبه فى الوقت نفسه إلى الشيعة وتدخله فى دائرة التحالف معهم من أجل الإطاحة بحكم صلاح الدين وطرد الأكراد من مصر وإعادة الحكم الفاطمى ..

ويحاول المؤرخون إثبات ذلك من خلال رواية تقول إن الصالح طلائع دعاة إلى التشيع وكتب له قصيدة فى ذلك فغطى القدر على بصره حتى أراد أن يتعصب لهم ويعيد دولتهم فهلك وعلى ضوء هذا التصور يكون عمارة قد راح ضحية السياسة . إلا أن غير المتصور أن يكون هذا العدد الذى ذكرته الروايات - ثمانية - يمكن أن يوجه له مثل هذا الاتهام الذى يتطلب وجود عدد كبير من المصريين كان يقف من وراء الثمانية . إلا أن الاتهام أقتصر عليهم وحدهم . ومثل هذا الموقف من

قبل صلاح الدين يتسببه إلى حد كبير تلك الاتهامات العصرية التي توجه للمثقفين وأصحاب الفكر والاتجاه المخالف للخط السائد بالتآمر لقلب لنظام الحكم . وهي تهمة مألوفة كثيراً ما توجه إلى نفر يعد على الأصابع إلا أن ما نغفل إليه بشأن عمارة هو أن دور صلاح في مصر وتآمره لإسقاط الحكم الفاطمي ويطشه بالشيعة الذين كانوا يمثلون الأغلبية وإصداره لقرار متعصب نص على إراقة دم من لا يلتزم بمذهب الشافعي في الفقه ومذهب الأشعرى في العقيدة كل ذلك يدفع بنا إلى الحكم أن عمارة سقط شهيداً لمخالفته الخط السائد الذي عمل صلاح الدين على فرضه على الناس أي كانت نوع هذه المخالفة فهي كافية لإراقة الدماء في ظل نظام سنى متعصب لا يعرف للتسامح سبيلاً ..



السهروردي

قتل جوعاً بأمر صلاح الدين ..

هو أبو الفتح يحيى بن حبش بن أميرك المعروف بشهاب الدين السهروردي كان من مشاهير علماء عصره في الحكمة والفلسفة وله شعر مشهور ..

نقل ابن خلكان عن طبقات الأطباء : كان السهروردي، أوجد أهل زمانه في العلوم الحكيمية جامعاً للفنون الفلسفية بارعاً في الأصول الفقهية مفرط الذكاء فصيح العبارة وكان علمه أكثر من عقله . (الوفيات ج ٦ ترجمة رقم ٨١٣) ..

وللسهروردي الكثير من المصنفات منها كتاب (التنقيحات) أو (التحقيقات) في أصول الفقه . وكتاب (التلويحات) . وكتاب (الهيكل) وكتاب (حكمة الإشراف) . وله رسالة تسمى (الغربة الغريبة) على مثال (رسالة الطير) لابن سينا أوحى بنى يقظان له أيضاً . أى أن مدارها النفس وما يتعلق بها في منظور الحكماء ..

ومن كلماته : الفكر في صورة قدسية يتطلف بها طالب الأريحية . ونواحي القدس دار لا يطؤها القوم الجاهلون . وحرام على الأجساد المظلمة أن نلج ملكوت السماء . فوحد الله وأنت بتعظيمه ملآن . واذكره وأنت من ملابس الأكموان عريان . ولو كان في الوجود شمس لا تنطمست الأركان فأبى النظام أن يكون غير ما كان ..
وتنسب إليه أشعار منها :

- خلعت هياكلها بجرعاء الحمى وصبت لعناها القديم تشوقاً
- وتلفتت نحو الديار فشاقتها ربيع عفت أطلاله فتمزقا
- وقفت تسائله فرد جوابها رجع الصدى أن لاسبيل إلى اللقا
- فكأننا برق تألق بالشمس أنطوى فكأنه ما أبرقا

ومنها :

- ١٠٠ . وارحمة للعاشقين تكلفوا . ستر المحبة والهوى ففضاح
- ١٠١ . وكذا دمء البائحين تباح
- ١٠٢ . بإصاح ليس على المحبة ملامة . إن لاح فى أفق الوصال صباح
- ١٠٣ . لا ذنب للعشاق إن غلب الهوى . كتمانهم فما الغرام وباحوا

ويروى ابن خلكان : أقمت بحلب سنين للإشتغال بالعلم ورأيت أهلها مختلفين فى أمره وكل واحد يتكلم على قدر هواه . فمنهم من ينسبه إلى الزندقة والإلحاد . ومنهم من يعتقد فيه الصلاح وأنه من أهل الكرامات ..

ويروى ابن العماد فى شذرات الذهب ج ٤ أحداث عام (٥٨٧ هـ) : وفيها السهروردي الفيلسوف المقتول أحد أذكيا بنى ادم كان رأساً فى معرفة علوم الأوائل بارعاً فى علم الكلام مناظراً محجاجاً منذ هداز هدمردكوفراغ مزدراياً للعلماء مستهزئاً رقيق الدين قدم حلب واشتهروا أسمه فعقد له الملك الظاهر غازى ولد السلطان صلاح الدين مجلساً فبان فضله وبهر علمه فارتبط عليه الظاهر واختص به وظهر للعلماء منه زندقة وإنحلال فعملوا محضراً بكفره وسيروه إلى صلاح الدين وخوفوه من أن يفسد عقيدة ولده فبعث إلى ولده بأن يقتله بلا مراجعة فخيره السلطان فاختار أن يموت جوعاً لأنه كان له عادة بالرياضة فمنع من الطعام حتى تلف وعاش ستا وثلاثين سنة ..

وينقل ابن العماد عن ابن شهية : كان دنى الهمة زرى الخلقة دنس الشياب وسخ البدن لا يغسل له ثوباً ولا جسماً ولايداً ولا يقص ظفراً ولا شعراً . وكان القمل يتناثر على وجهه ويسعى على ثيابه وكل من يراه يهرب منه وهذه الأشياء تنافى الحكمة والعقل والشرع . وقيل قتل وصلب أياماً . وقيل خير فى أنواع القتل فاختار القتل بالجوع ..

ويروى ابن خلكان : كان شافعي المذهب ويلقب بالمؤيد بالملكوت . وكان يتهم بإنحلال العقيدة والتعطيل ويعتقد مذهب الحكماء المتقدمين . واشتهر ذلك عنه . فلما وصل إلى حلب أفتى علماءها بإباحة قتله بسبب اعتقاده وما ظهر لهم من سوء مذهبه . وكان أشد الجماعة عليه الشيعيين : زين الدين ومجد الدين بنى جهيل ..

وكان ذلك فى دولة الملك الظاهر ابن صلاح الدين فحبسه ثم خنقه بإشارة والده السلطان صلاح الدين وكان ذلك فى خامس رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب وكان عمره ثمان وثلاثون سنة ..

ويروى عن القاضى بهاء الدين صاحب سيرة صلاح الدين : أنه ذكر حسن عقيدته وقال : كان

كثير التعظيم لشعائر الدين وأطال الكلام فى ذلك . ولقد أمر صلاح الدين - ولده صاحب حلب بقتل شاب نتماً يقال له السهروردى قيل عنه : إنه معاند للشرائع فقتله وصلبه أياماً ..

ونخرج من هذه الروايات أن حال السهروردى كحال غيره من شهداء الرأى الذين ألقينا الضوء عليهم وهو أن هناك شك فى ثبوت تهمة الزندقة عليه وأن أمره يدور فى محيط الحقد والحسد الذى لازم فقهاء السلطة من السهرودى بسبب قربه من ابن صلاح الدين وحظوته عنده بعد أن فتن به وبهر بحكسته . إلا أن الأمر على ما يظهر من الروايات لم يرضى صلاح الدين الذى ألزم الناس بمذهب التسامحى وعقيدة الأشعرى وحكم بضرب عنق المخالف ..

إن اختلاف الروايات حول السهروردى بين المدح والذم وبين الإيمان والتكفير يعنى أن مانسب إليه على لسان فقهاء السلطة ليس محل ثبوت و يقين . فمن ثم إراقة دمه لم تدعم بتبريرات كافية وإن الدعم الوحيد لها هو أن القاضى والجلاد كان شخصاً واحداً ..



محمد بن جمال الدين مكى العاملى

شهيد العصر المملوكى ..

ينتمى شهيدنا إلى جبل عامل (جنوب لبنان) وهى منطقة كانت مركزاً للتشيع منذ عهد عثمان بن عفان حين أرسل إلى الشام أبى ذر العقارى ليتولى أمره معاوية هناك إلا أن الرياح جاءت بما لا تشتهى السفن إذ قام أبو ذر بنشاط واسع بين ربوع الشام لنشر دعوة آل البيت وخط الإمام على وقد أخذ يتنقل بين دمشق وبين جبل عامل وتكن من خلال فترة وجوده فى الشام من تكوين طلائع شيعية مناهضة لمعاوية وبنى أمية . ولعل هذا هو ما دفع معاوية إلى أن يكتب لعثمان يخبره أن أبازر أفسد عليه الشام . فأمر عثمان بإعادته إلى المدينة . فارجع إليها مقبوضاً عليه ..

وتشهد وقائع التاريخ أن أبازر العقارى هو أول من وضع بذرة التشيع فى منطقة جبل عامل التى أصبحت ثانى بقعة شيعية فى العالم بعد الحجاز . إذ لم يكن الإمام على قد انتقل إلى الكوفة بعد لتكون مركزاً لحركته كما أن فارس لم تدخل فى التشيع بشكل كامل إلا بعد العصر الصفوى ..

ولقد أصبحت منطقة جبل عامل مركز إشعاع فكرى ألقى بظلاله على النجف بالعراق وقم بإيران وبقاع أخرى كثيرة . فقد أفرز الكثير من الرموز الفقهية التى كان لها دورها الفاعل فى دعم حركة التشيع وتقويم مسارها ..

وعاصر جبل عامل الكثير من الأحداث والصراعات التى انعكست على واقعة وجمدت مسيرته بداية من العصر الأموى ثم العباسى ثم المملوكى ثم العثمانى . أما على مستوى الداخل فقد نكب بالمعنيين تارة وبالدروز تارة أخرى ..

وسقط من أبناء جبل عامل الكثير من الشهداء على يد الأمويين والعباسيين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين والمعنيين والدروز ..

ومن بين هؤلاء الشهداء شهيدنا محمد بن جمال الدين مكى المولود بتاريخ (٧٣٤ هـ) أى فى القرن الثامن الهجرى فى ظل عصر المماليك ..

وكان عصر المماليك يتميز بالصراعات المذهبية والتعصب نتيجة لتلاعب أمر المماليك بالمذاهب

الأربعة واستثمارهم لدعم حكمتهم وإضفاء المشروعية عايه كما تلاعبوا بسلالة بنى العباس بعد سقوط دولتهم على يد التتار واستقدموهم إلى مصر ونصبوهم خلفاء لنفس الغرض ..
ومن الطبيعي أن تنشأ من خلال هذا الوضع نزعة عدائية ضد الشيعة لكونها مذهباً يهدد أصول هذه المذاهب وأطروحتها ..

ولم يتورع كثير من فقهاء هذه المذاهب عن إصدار الفتاوى التي تهدد الشيعة وتستبيح دماءهم وأموالهم وعلى رأس هؤلاء الفقهاء ابن تيمية صاحب الفتوى الشهيرة التي استباح على أساسها جنود المماليك منطقة كسروان الشيعية وهي واحدة من مناطق جبل عامل عام (٧٠٥ هـ) ..

ولقد كانت لشهيدنا جولات وصولات في ميدان الفكر فقد شد الرحال إلى بغداد وكربلاء ومكة والمدينة والشام والقدس والحلة بالعراق والتي كانت مركزاً للثقافة الشيعية في تلك الفترة .. كما كان على صلة وثيقة بالاتجاهات والروموز السنية في ميدان الفقه والكلام والرواية ..

ومما يلفت النظر أنه قد برز نبوغه العلمي في سن مبكرة وشهد له أساتذته وفقهاء عصره من الشيعة الإمامية بذلك وأكثروا من مدحه والثناء عليه ..

وترك لنا الشهيد الكثير من المصنفات القيمة في مجال الفقه الشيعي مازاد على ثلاثين مصنفاً على رأسها :

- متن اللمعة الدمشقية وهي رسالة فقهية شاملة ..
- الدروس الشرعية في فقه الإمامية ..
- الألفية وتشمل ألف واجب من واجبات الصلاة ..
- النلفية وتشمل على ثلاثة آلاف نافلة في الصلاة ..
- القواعد والقوائد ..
- أحكام الأموات ..
- منتخب الزيارات ..
- ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة ..
- البيان في الفقه ..

وبالإضافة إلى ذلك كانت له نتاجات أدبية وفلسفية وشعرية . ولما حبس من قبل (بيدمر) حاكم دمشق بسبب وشاية من خصومة أنشد يقول :

يا أيها الملك المنصور بيدمر . . . بكم خوارزم والأقطار تفتخر
 أنى أراعى لكم فى كل آونة . . . وما جنيت لعمري كيف أعتذر
 لا تسمعن فى أقوال الوشاة فقد . . . باؤوا بزور وافك ليس ينحصر
 والله والله أيماناً مؤكدة . . . إنى برئ من الأفك الذى ذكروا
 عقيدتى مخلصاً حب النبى ومن . . . أحبه وصحاب كلهم غرر

الفقه والنحو والتفسير يعرفنى . . . ثم الأصولان القرآن والأثر
 ويبدو أن المكانة العالية التى وصل إليها الشهيد على مستوى الداخل والخارج وبين الناس أثارت
 فقهاء عصره عليه حيث كانت له علاقات واسعة بالملوك والحكام كما كان على صلة وثيقة بحاكم
 دمشق بيدمر . وكان الناس كثيراً ما يلجئون إليه لحل مشاكلهم وقد جعل بيته مركزاً للندوات
 واللقاءات وحل مشاكل الجماهير وكانت تفد عليه أقطاب العلم والسياسة والفقه فى وقته ..

وقد أدى هذا الوضع الذى كان فيه الشهيد إلى خوف حاكم دمشق منه وكذلك حسد فقهاء السنة
 منه وعلى رأسهم برهان الدين بن جماعة قاضى القضاة الذى أخذ يدبر له فى مكيدة عند الحاكم ثم
 جاء دور تقى الدين الجلبى زعيم جماعة منشقة على الشيعة يطلق عليها (اليالوش) كان للشهيد دور
 كبير فى مواجهتها وتصفيتها من وسط الشيعة بسبب فساد عقائدها - فتحالف مع ابن جماعة ضد
 الشهيد وتم حبسه لمدة سنة وخوفاً من ثورة الناس وغضبها قرر الحاكم التعجيل بقتله وعقدت جلسة
 حضرها الحاكم والقضاة وجمع من الناس ونشرت المحاضر والشهادات التى شهد بها رجال اليالوش
 ورجال ابن جماعة والتى تتهم الشهيد بأقويل وإدعاءات كفرية نسبت إليه ..

ووجهت إليه التهم فأنكر . فلم يقبل منه .

وحكم بضرب عنقه . ثم أمر بصلبه قتيلاً على مشهد من الناس . ثم رجموا الجسد بالحجارة ..

ولم يكتفوا بهذا بل أنزلوا الجسد وأحرقوه ..

والسؤال هنا : هل الإسلام يقر هذه الوحشية ؟

والإجابة بالطبع لا ..

إذن ماذا يمثل هؤلاء .. ؟

والجواب أنهم يمثلون أنفسهم ومصالحهم وأهواءهم ..

إن أمثال هؤلاء الحكام والفقهاء لا يستحقون حتى لقب مسلمين . فهم عار على الإسلام وعلى
 المسلمين ..

لقد طمس التعصب قلوب أولئك الذين يسمون أنفسهم أهل السنة وصور لهم سلطانهم ونفوذهم

الذى استمدوه من تحالفهم الدائم مع الحكام . أنهم الحق والحق هم ولم نر منهم سوى الشماتة الدائمة من هؤلاء - المقتولين المغضوب عليهم بسبب مخالفتهم وتبنيهم عقائد غير عقائدهم ونهج غير نهجهم .. يعلق أن العماد الحنبلى فى كتابه شذرات الذهب فى أخبار من ذهب عن أحداث عام (٧٨٦ هـ) التى وقعت فيها هذه الجريمة البشعة بقوله : وفيها قتل محمد بن مكى العراقى الرافضى . كان عارفاً بالأصول والعربية فشهد عليه بدمشق بإنحلال العقيدة واعتقاد مذهب النصيرية واستحلال الخمر الصرف وغير ذلك من القبائح فضريت عنقه بدمشق فى جمادى الأولى وضربت عنق رفيقه بطرابلس وكان على معتقده ..

ومثل هذا الكلام لا يدل على فقه ولا تقوى ولا تجرد وإنما يدل على عصبية وحقد وتبعية للحكام المماليك العبيد ..



زين الدين الجبعى العاملي

قتيل الشبهة

ولد الجبعى عام (٩١١ هـ) فى ربوع جبل عامل وفى ظل حكم آل عثمان وتتلذذ منذ صباه على أيدي فقهاء عصره وانتقل فى شبابه إلى دمشق طلباً للعلم ثم إلى مصر ثم إلى الحجاز ثم عاد إلى موطنه (جميع) حيث التف الناس حوله وذاعت شهرته وأخذ يزاول مهمة التدريس والإفتاء والكتابة .. وكانت للجبعى اتصالات واسعة برموز عصره من أهل الفقه والأصول والمتكلمين والفلاسفة والأدباء والرياضيين . فلم تكن حصيلته العلمية تنحصر فى دائرة الفقه والعلوم الشرعية بل تجاوز هذا الحد لينهل من العلوم الأخرى ويتتلذذ على يد فقهاؤها حتى ألم بعلوم الأدب والعلوم العقلية والرياضيات والطبيعات والمذاهب الإسلامية الأخرى السائدة آنذاك ..

ومن آثاره العلمية :

- الروضة البهية فى شرح اللمعة دمشقية التى قام بتأليفها الشهيد الأول محمد بن مكى
- مسالك الافهام فى شرح شرائع الإسلام ..
- تمهيد القواعد الأصولية والعربية ..
- منية المرید فى آداب المفيد والمستفيد ..
- مسكن الفؤاد عند فقد الأجابة والأولاد ..
- حقائق الإيمان ..
- رسالة فى عشرة علوم ..
- منظومة فى النحو ..
- كتاب الرجال والنسب ..
- وجوب صلاة الجمعة ..

- كشف الريبة عن أحكام الغيبة ..

- منار القاصدين فى أسرار معالم الدين ..

ومجموع مصنفاته تزيد على السبعين ما بين كتاب ورسالة ويصفه معاصروه بأنه كان ذو صبر عجيب فى التأليف والنسخ والتصنيف مع كثرة المراجعين له وأسفاره المتواصلة وجهوده الواسعة فى سبيل نشر أفكاره والدفاع عن عقيدته ..

وقد شهد له فقهاء عصره بالنبوغ والاجتهاد وقوة الحفظ واعتبروه من أفضل المتأخرين وأكمل المتبحرين ونادرة الخلف وبقية السلف وقدوة الشيعة ونور الشريعة على الفضل والزهد والورع ومحاسنه وأوصافه أكثر من أن تحصى ..

وكانت للشهيد تجارب شعرية فريدة تدل على رقة شخصيته وسعة أفاقه وحسن تعبيره وخياله الواسع ..

ونختر له هنا بيتين من شعره لصلتهما بموضوع بحثنا :

لقد جاء فى القرآن آية حكمة . . . تدمر آيات الضلال ومن يجسبر

وتخبر أن الاختيار بأيدينا . . . (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

وفى عصر الشهيد برزت حركة التشيع فى إيران بزعامة الصفويين الذين دخلوا فى صدام مع العثمانيين ووقعت بنيتهم الملاحم . وانعكس هذا الوضع على قطاعات الشيعة الواقعة تحت سيطرة الدولة العثمانية فى العراق والشام خاصة لقربهما من ميدان الصراع مع الصفويين ..

من هنا فقد شدد العثمانيون من رصدهم للشيعة وعملوا على التضييق عليهم ولاحت الفرصة لفقهاء السنة المتربصين كى يضربوا ضربتهم ويقروا شوكتهم عند السلطان على حساب الشيعة فكان أن أرسلت العرائض وكثرت الوشايات عند رستم باشا وزير السلطان سليمان فى الشيخ زين الدين . وأنه ينشر عقيدة الشيعة ويدرس كتبها ويتردد عليه قادتها وفقهاؤها . فأرسل الوزير إليه وأرسله مقبوضاً عليه إلى الأستانة ..

ويروى فى كتاب أمل الأمل ج ١ / ٩٠ : وكان سبب قتله أنه ترافع إليه رجلان فحكم لأحدهما على الآخر . فغضب المحكوم عليه وذهب إلى قاضى صيدا .. فأرسل القاضى إلى (جيج) يطلبه فلم يجده . فكتب إلى السلطان أنه قد وجد ببلاد الشام رجل مبدع عن المذاهب الأربعة . فأرسل السلطان فى طلب الشيخ وقال : أنتونى به حياً حتى أجمع بينه وبين علماء بلادى فيبحثوا معه ويطلعوا على مذهبه فيخبرونى فأحكم عليه بما يقتضيه مذهبه ..

وتم القبض على الشيخ وأرسل إلى الأستانة وفى الطريق تأمر عليه حارسه وقتله وحمل رأسه إلى السلطان .. وكان ذلك فى عام ٩٦٥ هـ ..

ويبدو لنا من خلال موقف قاضى صيدا أن المسألة لا صلة لها بالدين والغيرة على الشريعة وإنما هي مسألة حقد وتريص . فالقاضى استفزه ممارسة الشيخ للقضاء فى دائرة نفوذه فانتهز الفرصة وأبلغ عنه السلطان . وهو موقف لا يدل على دين أو تقوى إنما يدل على حقد وعصبية وغيره عمياء . كما يدل من جهة أخرى على أن أهل السنة طوال تاريخهم كانوا يحتسمون بالحكام ويتحصون بهم فى مواجهة خصومهم الذين لم تكن لديهم القدرة على مواجهتهم بالفكر والعقل والحجة ..



ملاحق

موجز حوادث الرأي فى تاريخ المسلمين ..

- فرض أبو بكر خليفة للمسلمين بعد وفاة الرسول (ص) ..
- تصفية الرافضين لحكم أبي بكر من العرب فيما سمي بحروب الردة ..
- وصية أبو بكر لعمر بن الخطاب بالخلافة من بعده ..
- وصول عثمان بن عفان للحكم دون مشورة المسلمين ..
- اضطهاد عثمان للمصحابة المخالفين لحكمه ..
- نفي أبو ذر الغفارى إلى الريدة ..
- حرق المصاحف التى بين أيدي الصحابة ..
- ظهور الخوارج ومناظرتهم للإمام على وابن عباس ..
- سب الإمام على على المنابر من قبل معاوية وأعوانه ..
- تصفية المعارضين لمعاوية من الصحابة والتابعين ..
- فرض يزيد على الأمة من قبل معاوية وقيام أول نظام ملكى وراثى فى الإسلام ..
- فى عام (١٦٣ هـ) قتل المهدي العباسى جماعة من الزنادقة وصرف همتهم إلى تتبعهم وأتى بكتب من كتبهم فقطعت بحضرته فى حلب ..
- وفى عام (١٦٧ هـ) جد المهدي فى طلب الزنادقة فى الآفاق وأكثر الفحص عنهم وقتل طائفة ..
- وفى عام (١٩١ هـ) أمر هارون الرشيد بتغيير هيئة أهل الذمة ..
- وفى عام (٢١٣ هـ) قتل المأمون على بن جبلة الشاعر الأعمى من الموالى ..
- وفى عام (٢١٨ هـ) امتحن المأمون العلماء بخلق القرآن وكتب فى ذلك إلى نائبه على بغداد وبالغ فى ذلك وقيام متعبد بها فأجاب أكثر العلماء على سبيل الإكراه وتوقف

- طائفة ثم أجابوا وناظروا فلم يلتفت إلى قولهم وعظمت المصيبة بذلك وتهدد على ذلك بالقتل
 : يصف من علماء العراق إلا أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح فقيداً وأرسلا إلى المأمون وهو
 بطوس ..
- وفي عام (٢٢٦ هـ) قبض المعتصم العباسي علي الأفشين - كبير الأمراء في عصره - بتهمة
 الزندقة وأتى بأصنام من داره أتهم بعبادتها فأحرقت ..
- وفي عام (٢٣٥ هـ) أمر المتوكل العباسي بأخذ أهل الذمة بلبس الطيالس العسلية والزناير
 وترك ركوب السروج ونهى أن يستعان بهم في الدواوين وأن يتعلم أولادهم في كتابات
 المسلمين ولا يعلمهم مسلم ..
- وفي عام (٢٣٩ هـ) أصدر قراراً آخر بأن يلبسوا رقعتين عسليتين على الأقبية والدراريع وأن
 بصيغ النساء مقانعهن عسليات وأن يقتصروا على ركوب البغال والحمير دون الخيل
 والبراذين ..
- وفي عام (٢٤٧ هـ) قتل المتوكل أبو الفضل جعفر بن المعتصم وهو الذي أحيا السنة وأمات
 التجهم - أي قضى على تيار الجهمية ونصر أهل السنة ..
- وفي عام (٢٧٩ هـ) نودي في بغداد لا يقعد على الطريق منجم ولا تباع كتب الكلام والفلسفة
 وذلك في عهد المعتمد العباسي ..
- وفي عام (٢٨٣ هـ) أمر المعتصم العباسي بإبطال دواوين الموارث - على مذهب الشيعة وكان
 قبل ذلك أبطل الإحتفال بعيد النيروز ومنع النيران وأمات سنة المجوس ..
- وفي عام (٣٠١ هـ) أدخل الخلاج بغداد مشهوراً على جمل وعلق مصلوباً ونودي عليه هذا أحد
 دعاة القرامطة فاعرفوه ثم حبس . وقتل عام (٣٠٩ هـ) .
- وفي عام (٣٠٣ هـ) قتل النسائي المحدث صاحب السنن بعد أن اعتدى عليه أنصار معاوية
 بالشام بسبب رفضه كتابة كتاب في معاوية على نسق كتابه (خصائص الإمام علي) ..
- وفي عام (٣١٠ هـ) وقع صدام بين الحنابلة والطبري المفسر والمؤرخ بسبب كتابه (اختلاف
 الفقهاء) الذي أغفل فيه ذكر ابن حنبل فهاهوا عليه العامة وقذفوه بالمحابر وطارده حتى داره
 وقذفوه بالحجارة حتى سد باب الدار وتدخلت الشرطة لحسم الأمر ..
- وفي عام (٣١٧ هـ) وقعت فتنة كبيرة في بغداد بين الحنابلة وخصومهم بسبب قوله تعالى
 (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) فقالت الحنابلة : معناها يقعد الله على عرشه وقال
 غيرهم : بل هي الشفاعة ودام الخصام واقتتلوا حتى قتل جماعة كثيرة ..
- وفي عام (٣٣٨ هـ) هاجم السنة الشيعة ووقعت فتنة ونهبت مدينة الكرخ إحدى مدن الشيعة ..
- وفي عام (٣٤٨ هـ) وقع صدام آخر وقتل فيه خلق كثير ..
- وفي عام (٣٤٩ هـ) وقعت فتنة أخرى ببغداد وقبض على جماعة من الهاشميين ..

- وفى عام (٣٨٢ هـ) منع الشيعة من عمل المأتم يوم عاشوراء والذي كان يعمل نحواً من ثلاثين سنة ..
- وفى عام (٣٩٣ هـ) قبض على مغربى بالشام أيام الفاطميين وطيف به على حمار وتودى عليه هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر ثم ضرب عنقه ..
- وفى عام (٤٠٨ هـ) وقعت فتنة عظيمة بين السنة والشيعة وتفاقت وقاتل طائفة من الفريقين وعجز صاحب الشرطة عنهم وقاتلوه فأطلق النيران فى سوق الدجاج ..
- وفى العام نفسه استتاب القادر بالله العباسى طائفة من المعتزلة والشيعة وأخذ خطوطهم بالتوبة وبعث إلى السلطان محمود بن سبكتكين يأمر ببث السنة فى خر إسان ففعل وبالفعل قتل جماعة ونفى جماعة كثيرة من المعتزلة والشيعة والجهمية وأمر بلعنهم على المنابر ..
- وفى عام (٤٤٣ هـ) زال الإنس بين السنة والشيعة وعادوا إلى أشد ما كانوا عليه واحكموا الشيعة سوق الكرخ وكتبوا على الأبراج محمد وعلى خير البشر فمن رضى فقد شكر ومن أبى فقد كفر واضطربت الفتنة وأخذت ثياب الناس فى الطريق وغلقت الأسواق واجتمع للسنة جمع لم ير مثله وهجموا دار الخلافة فوعدوا بالخير وثار أهل الكرخ والتقى الجمعان وقتل جماعة ونبشت عدة قبور للشيعة وطرحوا النيران فى النراب وتم على الشيعة خزي عظيم فعمدوا إلى خان الخنفية فأحرقوه ..
- وفى عام (٤٨٣ هـ) وقعت فتنة هائلة لم يسمع بمثلها بين السنة والشيعة وقتل بينهم عدد كثير وعجز والى البلد واستظهرت السنة بكثرة من معهم من أعوان الخليفة واستكانت الشيعة وذلوا ولزموا التقية وأجابوا إلى أن كتبوا على مساجد الكرخ خير الناس بعد رسوله (ص) أبو بكر ..
- وفى عام (٥٦٧ هـ) أعلن صلاح الدين سقوط الدولة الفاطمية فى مصر وتصفية مذهب الشيعة وأرسل إلى الخليفة العباسى فى بغداد يبشره بذلك واعتقل أولاد آخر الخلفاء الفاطميين الخليفة العاضد والذي توفي فى حبسه الذى وضعه فيه صلاح الدين . وقام بتصفية الوجود الشيعى فى مصر بأن أغلق الجامع الأزهر واعدم علماء الشيعة والآلاف من أبناء الشعب فى القاهرة وصعيد مصر ..
- وفى عام (٥٧٤ هـ) أخذ ابن قرايا الشيعى الذى ينشد فى الأسواق ببغداد فوجدوا فى بيته سب الصحابة فقطعت يده ولسانه ورجمته العامة فهرب وسبح فألجأ عليه بالاجر ففرق فأخرجه وحرقوه ثم وقع التقيح على الشيعة وأحرقت كتبهم وانقمعوا حتى صاروا فى ذلة اليهود وهذا شئ لم ينتهياً فى بغداد من نحو مائتين وخمسين سنة ..
- وفى عام (٥٩٥ هـ) وقعت الفتنة بين فخر الدين الرازى وبين الكرامية بهراة الذين ثاروا عليه وأرسل السلطان الجند فسكنهم وأمر الرازى بالخروج ..
- وفى عام (٦٠٣ هـ) قبض الخليفة على الركن عبد السلام بن الشيخ عبد القادر وأحرقت كتبه

وحكم بفسقه ..

- وفى عام (٧٠٧ هـ) عقد مجلس بقصر الحاكم فاستتيب النجم بن خلكان من عبارات قبي ودعاو مبيحة للدم وإدعاء نبوة فاختلفت فيه الآراء ومال إلى الرفق به الشيخ برهان الـ فتاـب..

- وفى عام (٧٢٦ هـ) قتل ناصر بن أبى الفضل ضربت عنقه لثبوت زندقته على قاضى القعه شرف الدين بن مسلم الحنبلى ونقل الثبوت إلى قاضى القضاة شرف الدين المالكى فأنة وحكم بإراقة دمه وعدم قبول توبته وإن أسلم مع العلم بالخلاف وطلع مـ عالم عظيم فصلى ركعتين وضربت عنقه ..

وفى العام نفسه ضربت عنق توما الراهب الذى أسلم منذ ثلاث سنين وارتد سراً ثم أفشى ذلك : المالكى فقتل وأحرق ..

- وفى عام (٧٣٧ هـ) أخذ بمصر شمس الدين بن اللبان الشافعى وشهد عليه عند الحاكم بعض تبيح الدم فرجع ورسم بنفيه ..

وفى العام نفسه قتل بتهمة الزندقة الحموى الحجار بحماة وأحرق وقام عليه قاضى القضاة شه الدين ..

- وفى عام (٧٩٥ هـ) اجتمع بالقدس أربعة من الرهبان ودعوا الفقهاء لمناظرتهم فلما اجتمع جهروا بالسوء من القول وصرحوا بدم الإسلام فثار الناس عليهم وأحرقوهم ..

- وفى عام (٨٢٠ هـ) كثر اتباع الشيخ نسيم الدين التبريزى نزيل حلب وهوشىء الحروا ونشأت بدعته وشاعت فأل أمره إلى السلطان فأمر بقتله فضربت عنقه وسلخ جلده وصلب ..

- وفى عام (٨٣٥ هـ) ثارت فتنة عظيمة بين الحنابلة وإلا شاعرة بدمشق وتعصب الشيخ عـ الدين البخارى على الحنابلة وبالغ فى الحط على ابن تيمية وصرح بنكفير فتعصب جماعة الدماشقة لابن تيمية ..

- وفى عام (٩٠٢ هـ) أمر السلطان عامر بن عبد الوهاب بتقييد رئيس الإسماعيلية وعامـ سليمان بن حسن بمدينة تعز وأودعه دار الأدب لأنه كان يتكلم بما لا يعينه من المغيبات وأـ بإتلاف كتبه فاتلفت ..

وليس لنا من تعليق على هذه الحوادث سوى ان هؤلاء الحكام وأنصارهم الفقهاء قداستها بأرواح الناس واستحلوا المخالفين بدافع العصبية والحفاظ على الحكم وليس بدافع الغيرة عـ الدين . فإن الدين لا يبيح هذه الوحشية والتفنن فى القتل والتشيل بجثث القتلى . وليس سلوك هؤلاء الحكام ما يدل على تقوى أو ورع . كما ليس فى مواقف الفقهاء ما يرشد إـ دليل شرعى واضح ومحدد يبيح هذه الجرائم والمنكرات ..



الشورى بين السنة والشيعه

حاء أمر الله لرسوله (ص) (وشاورهم فى الأمر)
 وزكى سبحانه المجتمع المسلم بقوله (وأمرهم شورى بينهم)
 ومن خلال هذين النصين يتبين لنا أن الشورى ارتبطت بالرسول أولاً .. وبالمؤمنين ثانياً .
 والرسول هو قائد الأمة وإمامها .. والمؤمنون هم أصحابه ورعاياه .
 وإذا كانت ممارسة الشورى من واجبات النبى المعصوم الموجه من قبل الله سبحانه والذى هو فى
 رعاية الوحي . فإنها فى حق غير الرسول أشد وجوباً وضرورة .
 وإذا كانت الشورى قائمة فى ظل النبوة فإن الحاجة إليها فى ظل المجتمعات البشرية الخالية من
 نموذج النبى تكون ماسة وشديدة .
 ولأن النبى (ص) كان منضبطاً بالقرآن ودوره ينحصر فى تبليغه وتبيينه فإنه من الطبيعى أن
 يكون قد مارس الشورى وطبقها على أوسع نطاق ممكن .
 وكون أن الرسول قد طبق الشورى ومارسها أمر لا خلاف فيه بين الفرق والاتجاهات الإسلامية فمن
 تم هو أمر لا يحتاج إلى بيان واستفاضة .
 أما فى فترة ما بعد الرسول فهذا ما وقع فيه الخلاف .
 الطرف السنى يقول إن الشورى ظلت حية نابضة فى عصر الخلفاء الراشدين .
 والطرف الشيعى يعتبر أن الشورى ضربت بعد وفاة الرسول (ص) ..
 أما بقية الأطراف الأخرى من معتزلة وخوارج وزيدية وغيرهم فهم يتبنون وجهات نظر تتأرجح ما
 بين هذين الموقفين ..

* المنظور السنى للشورى :

تعتبر فرقة أهل السنة أن أعظم تطبيق للشورى فى تاريخ الإسلام تركز فى سقيفة بنى ساعدة
 والذى تمخض عن اختيار أبى بكر خليفة للمسلمين .
 إلا أن هذه المقولة فيها نظر إذ أن ما حدث فى سقيفة بنى ساعدة لم يكن شورى بل كان صراعاً
 قلبياً بين فئتين من قطاعين .
 الفئة الأولى هى فئة المهاجرين وتمثلت فى عدة عناصر من المهاجرين كان على رأسهم عمر وأبى بكر

وأبى عبيدة وطلحة .

والفئة الثانية هي الأنصار وتمثلت في بعض جماعات من الأوس والخزرج .

الفئة الأولى لم تكن تمثل المهاجرين تمثيلاً كاملاً .

والفئة الثانية لم تكن تمثل الأنصار تمثيلاً كاملاً .

وفى الوقت الذى كان يدور فيه الصراع داخل سقيفة بنى ساعدة كان هناك قطاع فاعل من المهاجرين على رأسهم على بن أبى طالب مشغول بتجهيز الرسول للدفن ومعه قطاع آخر من الأنصار غرق فى دوامة الحزن وجمدت حركته وقد شددت أبصاره نحو بيت الرسول حيث يغسل جثمانه الشريف .

هذا فى حدود المدينة أما فى خارجها فلم يكن أحد من المسلمين يعلم بما يجرى فى سقيفة بنى ساعدة ولا بأمر اختيار أبى بكر .

إن المدقق فى أحداث السقيفة سوف يتبين له أن الصراع الذى دار بين فئة المهاجرين وفئة الأنصار قد خرج عن مضمونه الخلقى والشرعى ..^(١)

وإذا ما ألقينا الضوء على تجربة الشورى فى عصر أبى بكر فسوف نرى أنه بمجرد توليه السلطة أصدر قرارين خطيرين دون مشورة المسلمين .

الأول : مصادرة ميراث فاطمة بنت الرسول (ص) ..

والثانى : مقاتلة مانعى الزكاة والرافضين لحكمه ..

القرار الأول اصطدم فيه بفاطمة وعلى وبنى هاشم واستند فيه على رواية منسوبة للرسول تقول : «إنا لا نورث وما تركناه صدقة»^(٢)

ورغم مخالفة هذه الرواية لصريح القرآن وعدم تحقق الإجماع عليها من قبل المسلمين فقد تم تنفيذ هذا القرار ..^(٣)

أما القرار الثانى اصطدم فيه بعمر ساعده الأمين وغيره من الصحابة بسبب عدم وجود مبرر شرعى يبيح مقاتلة أمثال هؤلاء ..^(٤)

وجاء عمر إلى السلطة بوصية من أبى بكر دون مشورة المسلمين فكانت هذه أول وصية لولاية العهد فى الإسلام ..^(٥)

١ - انظر تفاصيل الصدامات بين عمر وأنصار سعد بن عباداة وتعارك ولده معه بسبب سب أبيه وإمساك عمر من لحيته، وصدامات أخرى ، كتب التاريخ مثل الطبرى وابن الأثير ومروج الذهب ونهاية الأدوب وانظر لنا كتاب السيف والسياسة .

٢ - الحديث رواه البخارى ومسلم وكتب السنن . انظر تفاصيل الصدام بين فاطمة وأبى بكر ، البداية والنهاية لابن كثير ، وكتب التاريخ ، وشروح كتب السنة . وانظر لنا السيف والسياسة .

٣ - تصطدم هذه الرواية بقوله تعالى (ورث سليمان داود) سورة النمل . وقوله تعالى (يرثى ريث من آل يعقوب) سورة مريم .

وكان الرسول (ص) ترك إقطاعية (فدك) من خمس خيبر وهى التى صادرها أبو بكر . انظر كتاب فدك فى التاريخ لمحمد باقر الصدر - ط بيروت . وانظر كتب التاريخ ..

٤ - قال عمر لابی بكر كيف تقاتل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله . وقال أبو بكر : والله لا أقاتلن من فرق=

وفى عهد عمر تم إصدار الكثير من القرارات المخالفة لنصوص قرآنية صريحة ودون مستورة المسلمين وتم إلزام الأمة بها بقوة السلطان .. (٦)

تم حين قتل أوصى لستة من بعده ليختاروا من بينهم من يخلفه وهؤلاء الستة كانوا متنافرين وفيهم أصحاب مصالح وجميعهم من المهاجرين كان من بينهم الإمام على .. وأسفر الصراع بين هذه المجموعة الصغيرة عن اختيار عثمان بن عفان الذى كان أول من أرسى دعائم حكم العائلة فى الإسلام . وضرب بعرض الحائط فكرة الشورى وسار برأيه حتى أدى الأمر به فى النهاية إلى السقوط قتيلاً على يد التوار .. (٧)

وبعد مصرع عثمان اتجهت جماهير المدينة ومعها قطاعات أخرى من مختلف الأمصار كانت قد شاركت فى الثورة على عثمان - اتجهت نحو الإمام على تطالبه بتسلم زمام الحكم وقيادة الأمة وكان هذا أول انتخاب حر فى تاريخ الإسلام .. (٨)

وسار الإمام على على نهج الرسول (ص) فى تطبيق الشورى إلا أن المؤمرات قد أحاطت به من قبل عائشة وحلفائها ومعاوية وحلفائه ثم الخوارج حتى أدى به الأمر إلى الهجرة إلى الكوفة واتخاذها عاصمة له بعد أن أصبحت المدينة مركزاً للقتال والفتن وبعد أن تدنت شعبيته فيها .. (٩)

وجاد معاوية بعد الإمام على فأقام أول حكومة ملكية فى تاريخ الإسلام وسار على سنته من بعده جميع حكام المسلمين من عباسيين وسلاحقة وأبويين وعثمانيين وغيرهم ..

ومن خلال ممارسات الخلفاء الثلاثة : أبى بكر وعمر وعثمان ثم معاوية وخلفاء بنى العباس تحددت فكرة خاصة للشورى أصبحت هى الرؤية السائدة فى التصور الإسلامى المعاصر وهى رؤية فى مضمونها تخدم الحاكم لا تخدم الجماهير ..

وتركز مضمون هذه الرؤية فيما يلى :

* أن الإمامة فى قریش سيراً مع نص منسوب للرسول (ص) واحتج به المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة . وفكرة حصر الإمامة فى قریش فكرة قبلية تتناقض مع الشورى فضلاً عن كونها تتناقض مع جوهر الدين .

* طريق وجوب الإمامة السمع لا العقل . أى الرواية لا الاختيار . ومعنى هذا أن قضية الحكم

= بين الصلاة والزكاة . انظر كتب التاريخ ، وقصة مصرع مالك بن نويرة على يد خالد بن الوليد فى حروب الردة وهو على الإسلام ودخوله بامرأته فى فترة العدة .

٥ - انظر نص الوصية فى كتب التاريخ مثل الطبرى وابن كثير وانظر لنا كتاب السيف والسياسة ..

٦ - من هذه المخالفات قراره بتحريم زواج المتعة ومنعه تقسيم أراضى فارس على الفاتحين ومنعه الصحابة رواية الحديث عن الرسول ووضع كبار الصحابة تحت الإقامة الجبرية فى المدينة ومنعه نصيب المؤلفة قلوبهم من الزكاة وغير ذلك انظر تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ، والنص والاحتشاد - ط بيروت ، وانظر كتب التاريخ . وانظر لنا السيف والسياسة . وكتابات زواج المتعة حلال .

٧ - انظر تفاصيل الثورة على عثمان فى كتب التاريخ . والستة الذين اختارهم عمر هم الزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وسعد بن أبى وقاص وطلحة بين عبید الله ثم على بن أبى طالب . ومن المعروف أن الخمسة كانوا ضد الإمام على . انظر كتب التاريخ وانظر لنا كتاب السيف والسياسة ..

٨ - انظر كتب التاريخ .. وانظر لنا السيف والسياسة .

٩ - انظر المراجع السابقة ..

تأخذ طابعاً مقدساً يقترب بها من فكرة الحكم الإلهي . وبالطبع مثل هذا النموذج من الحكم يصدم بالشورى .

* الإمامة فرض على الكفاية مخاطب بها طائفتان من الناس :

- أهل الاجتهاد وأصحاب سلطة الاختيار .

- من تتوافر فيه شرائط الإمامة وهي القرشية والحرية والبلوغ .

* إجازة تولى الغالب للسلطة ولو لم تتوفر فيه شروط الإمامة ..

* اعتبار الشورى مندوبة وليست واجبة في حق الحاكم .

* إجازة تولى الصبي والفاسق والظالم بطريق الوراثة .. (١٠)

ونخلص مما سبق إلى أن أهل السنة يرفضون فكرة شمولية الشورى ويحصرونها في دائرة من أسموهم بأهل الحل والعقد .. (١١)

موقف التيارات الإسلامية المعاصرة:

ونظراً لكون التيارات الإسلامية المعاصرة تعيش بعقل الماضي وتلتزم نهج السلف وتتبنى الرؤية التراثية لنموذج الحكم الإسلامي ، فمن ثم هي قد تبنت تلك النظرة المعادية لشمولية الشورى والتي ورثتها عن فقها الماضي .. (١٢)

وتبدو في الكتابات التي تعكس أفكار هذه التيارات نظرة معادية لجميع النظم العصرية التي تتصل بقضية الشورى والحكم مثل الديمقراطية والاشتراكية حتى وصل الأمر بأغلب التيارات إلى تكفير الذين يمارسون العمل السياسي من الإسلاميين والذين يرشحون أنفسهم في الانتخابات البرلمانية والذين ينادون بالديمقراطية باعتبار أن فكرة الديمقراطية والأحزاب والمجالس النيابية أفكار وافدة من الغرب الكافر وليس هناك ما يعضدها من نصوص التراث .. (١٣)

ويعد نموذج الحكم الإسلامي والذي تسعى هذه التيارات إلى تحقيقه وهو نموذج الخلافة الراشدة هو النموذج المثالي من هنا فقد عاشت هذه التيارات في عزلة عن الواقع مكتفية باعتقاد أن الحق في صفها ومعها وهو سوف يسود يوماً ويدمر كل صور الباطل المتمثلة في التيارات الأخرى التي لا تتبنى تصوراتهم وأفكارهم وتعتقد معتقداتهم ..

ويبدو من ممارسات هذه التيارات على ساحة الواقع وسلوكيات عناصره أنها تحمل نظرة شديدة العداء لخصومها من التيارات الأخرى . فهي تبشر بنموذج حكم لا مجال فيه للشورى أو الرأي الآخر .. (١٤)

وننقل هنا نصاً لأحدهم يقول : أن إنابة أهل الشورى من قبل الشعب بإجراء انتخابات عامة رأى

١٠ - انظر الأحكام السلطانية لأبي يعلى والماوردي وكتب الفقه . وأهل السنة يرون على لسان الرسول ص أنه قال

(أطع الأمير وإن جلد ظهرك وأخذ مالك) رواه مسلم . كتاب الإمارة ..

١١ - فكرة أهل الحل والعقد مشتقة من صنيع عمر باختيار ستة للمشورة حين قتل .

١٢ - انظر لنا كتاب الحركة الإسلامية في مصر . وكتابات جماعة الإخوان المسلمين .

١٣ - انظر لنا الحركة الإسلامية وهناك عدة منشورات صادرة عن التيارات الإسلامية تعادي الديمقراطية وممارسة العمل السياسي وترفض العمل البرلماني بل وتكفير من ينادى بذلك ويمارسه . انظر كتاب الأحزاب السياسية في الإسلام

جديد لم يعرف في غابر الزمان . ولا سيما في عهد الخلفاء الراشدين . فإنهم لم يكونوا يستفتون في ذلك الشعب . بل ولا أهل المدينة . وإنما كانوا يتخذون للشورى من يعرفون فيه الخيرة والكفاية والعلم وحصافة العقل وإصابة الرأي . حتى ولو خالف ذلك آخرون من أهل الشورى أنفسهم فضلاً عن الشعب .. (١٥)

* رؤية الشيعة للشورى

عندما نتحدث عن الشيعة فيجب أن نعلم أن هناك فرق بين أصول المذهب الشيعي وبين الممارسات التطبيقية للدول الشيعية التي قامت في التاريخ الإسلامي وأخرها الجمهورية الإسلامية في إيران .. بهذه الدول في منظور الشيعة دول سياسية ولا تعبر بالضرورة عن عقيدة وأصول التشيع باستثناء دولة الإمام علي لأن الذي يقف على رأسها إمام تتوافر به مواصفات الحكم وحفظ الدين وتطبيقه التطبيق الصحيح .. (١٦)

والمعتقد الشيعي ينص على أن الإمام هو الشخص الوحيد الذي يحق له شرعاً الجمع بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية .

ومن المعروف تاريخياً أنه لم يقدر لإمام من أئمة الشيعة الاثني عشر تملك هاتين السلطتين بعد الإمام علي .. (١٧)

وعلى هذا الأساس فإن الشيعة ينظرون إلى الحكام على مر الزمان نظرة شك وعداء ويعيشون كطائفة وكمؤسسة دينية في عزلة عنه .

ولكون الشيعة منذ زمن يعيشون عصر الغيبة في انتظار الإمام المهدي فمن ثم هم لا يرون القيام بأي نشاط سياسي أو وضع خطة للحكم كما هو حال التيارات الإسلامية الأخرى . ومثل هذا الموقف السلبي إنما ينبع من عصور الاضطهاد الطويلة التي مرت بهم والتي دفعتهم إلى التزام السرية أو ما يسمى بالتيق في مواجهة الواقع حفاظاً على دعوتهم وعلى أنفسهم ..

وعقيدة الإمامة بالإضافة إلى عقيدة الانتظار ولدت تصوراً تجاه الواقع والحكم لدى الشيعة يقترب بهم إلى التصور العلماني . حيث إنه في حالة غيبة الإمام يمكن التعايش مع أي نظام للحكم بل المشاركة فيه إن أمكن وممارسة العمل السياسي إن أمكن أيضاً والاستفادة من العصر والتفاعل معه . عكس الصورة التي تبنتها التيارات الإسلامية الأخرى التي تعادى الواقع وتعيش في عزلة عنه وترفض الاعتراف بالتيارات السياسية والعلمانية والحوار معها ..

١٤ - انظر لنا الحركة الإسلامية

١٥ - الأحزاب السياسية في الإسلام من منشورات الجامعة السلفية الهند - ط القاهرة .

١٦ - من هذه الدول الدولة البوذية والصوفية وحتى الجمهورية الإسلامية المعاصرة .

١٧ - الأئمة الاثني عشر للشيعة أولهم الإمام علي ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين زين العابدين ثم محمد الباقر ثم جعفر الصادق ثم موسى الكاظم ثم علي الرضا ثم محمد بن علي الجواد ثم علي بن محمد الهادي ثم الحسن بن علي العسكري ثم المهدي المنتظر .. وهم قد بشر بهم الرسول في أحاديث صحيحة لدى الطرفين غير أن الطرب السنن يعتبرهم اثنا عشر حاكماً منهم معاوية ويزيد وولده وسائر بني أمية - انظر مقدمة تاريخ الخلفاء ، للسيوطي ، وشرح العقيدة الطحاوية ، وشرح البخاري لابن حجر العسقلاني باب الأحكام ج ٩ .

ولأن الشيعة تقوم عقيدتها على النص القرآني وما دون ذلك يقاس عليه فمن ثم هي تقف من قضية الشورى موقفاً مرناً وإيجابياً يرفض جمع الأفكار الموروثة عن عصر الخلفاء وفقهاء السلاطين وتؤمن بشمولية الشورى سيراً مع نصوص القرآن ومع إيمانها بالعقل كمصدر من مصادر الفهم والتلقى .

* رؤية الإمام علي :

يعتبر الإمام علي وصي الرسول وحامل علم الكتاب والأمين على تطبيقه كما أنزل وكما طبقه الرسول في معتقد الشيعة الإمامية . فمن ثم فسوف نلقى الضوء هنا على موقفه من قضية الشورى وبعض النصوص الماثورة عنه حولها والتي يعتمدها الشيعة كمصدر ومرجع لهم .. وتعد فترة حكم الإمام علي القصيرة نموذجاً للتطبيق العملي للشورى والحوار وتشهد بذلك الكثير من نصوص نهج البلاغة وما سوف نعرضه هنا .. (١٨)

ولقد كان الإمام علي المستشار المنقذ لكل من أبي بكر وعمر اللذان كانا يستشيرانه في معظم القضايا التي تتعلق بالتطبيق الإسلامي .

ويعد عهد الإمام للاشترحين حين وجه لحكم مصر من أهم الوثائق التاريخية التي تكشف لنا رؤية الإمام علي لقضية الشورى والحكم في الإسلام بل هي الوثيقة الوحيدة التي تعكس لنا النموذج الشرعي الحقيقي لنظام الحكم في الإسلام .. (١٩)

ينص العهد : « لا تدلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر . ولا جباناً يضعفك عن الأمور . ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور فإن الجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله .. إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً . ومن شركهم في الآثام . فلا يكونن لك بطانة فإنهم أعوان الآثمة وإخوان الظلمة .. ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء . ولا تنقضن سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة ، واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية ، وأكثر مدارس العلماء ومناقشة الحكماء في تشييت ما صلح أمر بلادك وإقامة ما استقام الناس قبلك .. واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض . ثم ألصق بذوي المروءات وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف .. ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما . ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به . ولا تحقرن لطفاً تعاهدتم به وإن قل . فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطف أمورهم اتكالاً على جسيمها فإن ليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به وللجسيم موضعاً لا يستغنون عنه فلا تطولن احتجاجك عن رعبتك فإن احتجاج الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور والاحتجاج منهم يقطع عنهم علم ما احتجوا به .. وإنما الوالي بشر لا يعرف ما تراه به الناس من الأمور وإن ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعدرك

١٨ - انظر نهج البلاغة شرح محمد عبده - ط القاهرة وبيروت وهو يحوى خطب الإمام علي ومقالاته في شتى الأحداث التي عاصرها وواجهته .

١٩ - انظر نص العهد في نهج البلاغة . وانظر كتاب عهد الاشر . وعلى ونظام الحكم - ط بيروت .

واعدل عنك ظنونهم بإصهارك فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيتك واعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق .. (٢٠)

وقال علي : من استقبل وجوه الآراء عرف موقع الخطأ ..

وقال : الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه ..

وقال : من استبد برأيه هلك . ومن شاور الرجال شاركها في عقولها ..

وقال لا ظهير كالمشاورة .

وقال : من أعجب برأيه ضل . ومن استغنى بعقله زل ..

وقال : لا رأى لمن انفرد برأيه .

وقال : من شاور ذوى العقول استضاء بأنوار العقول ..

وقال : المستشار متحصن من السقوط .

وقال : جماع الخير في المشاورة والأخذ بقول النصيح .

وقال : المشورة تجلب لك صواب غيرك .

وقال : استشر عدوك العاقل واحذر صديقك الجاهل .

وقال : من لزم المشاورة لم يعدم عند الصواب مادحاً وعن الخطأ عاذراً ..

وقال : شاور قبل تقدم ..

وقال في وصيته لولده محمد بن الحنفية : أضم آراء الرجال بعضها إلى بعض ثم اختر أقربها من

الصواب وأبعدها من الارتباب .. خاطر بنفسه من استغنى برأيه . ومن استقبل وجوه الآراء عرف

مواقع الخطأ ..

ويروى عن الرسول (ص) : إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاؤكم وأمركم شورى بينكم

فظهر الأرض خير لكم من بطنها . وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاؤكم ولم يكن أمركم

شورى بينكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها .. (٢١)

*** التطبيق الحالي :**

ويبدو بوضوح أن نموذج الجمهورية الإسلامية في إيران اليوم لا يعادى الشورى بل يطبقها ويلتزم

بها وفق رؤية عصرية . ويظهر من تبني تسمية الجمهورية ومن تبني فكرة الانتخاب البرلماني

والرئاسي .

ومثل هذا التطبيق العصري إنما يعكس لنا رؤية الشيعة تجاه قضية الشورى تلك الرؤية المرنة

الانفتاحية ..

ومنذ قيام الثورة الإسلامية في إيران وحتى اليوم توالى على الحكم عدة رؤساء للجمهورية عن

طريق الانتخاب ..

ويمثل البرلمان الإيراني المعاصر جميع قطاعات الشعب من فرس وكرد وتركمان وعرب ويلوش

٢٠ - نهج البلاغة وانظر على نظام الحكم في الإسلام لباقر الناصري - ط بيروت .

٢١ - انظر نهج البلاغة وكتب الحديث عند الشيعة مثل الكافي ، وكتاب الشورى في الإسلام - ط بيروت .

وغيرهم ..

ومثل هذا النموذج للحكم إنما هو نموذج عصري واقعي يدل على مرونة الشيعة وتفاعلهم مع الواقع وهو نموذج مرفوض عند التيارات الإسلامية السنية التي تلتزم بفقهاء الماضى وتتبنى نموذجاً للشورى والحكم لا صلة له بالعصر والمتغيرات ..

ولا يبدو فى التطبيق الإسلامى فى إيران ما ينفر حيث أن هذا التطبيق يقوم على فقه الواقع لا فقه الماضى ..

ويظهر هذا بقليل من المقارنة بين نظام الحكم السعودى وتطبيقه وبين نظام الحكم الإيرانى وتطبيقه ..

النظام السعودى ضد الشورى .

والنظام الإيرانى يؤمن بها ويطبقها ..

النظام السعودى يطبق الشريعة على هواه وما يخدم مصالحه ..

والنظام الإيرانى يطبقها بروح العصر ..

النظام السعودى يتبنى الملكية ..

والنظام الإيرانى يتبنى الجمهورية ..

إن الفرق بين النظام الإيرانى والنظام السعودى هو الفرق بين السنة وبين الشيعة ..

بين الشورى وبين الاستبداد ..

بين فقه الماضى وفقه الحاضر ..



حادثة رأى عام ٧٥٥ هـ

قال شيخ الإسلام مجتهد عصره التقى السبكي^(١) رحمه الله ورضي عنه : كنت بالجامع الأموي ظهر يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وسبعمئة فأحضر إلى شخص شق الصوف في الجامع وهم يصلون الظهر ، ولم يصل وهو يقول : لعن الله من أظلم آل محمد ، وهو يكرر ذلك ، فسألته من هو ؟ فقال أبو بكر ، قلت أبو بكر الصديق . قال أبو بكر وعمر وعثمان ويزيد ومعاوية ، فأمرت بسجنه وجعل غل في عنقه ، ثم أخذه القاضي المالكي فضربه وهو مصر على ذلك وزاد فقال : إن فلاناً عدو الله شهد عليه عندي بذلك شاهدان ، وقال : إنه مات على غير الحق ، وإنه ظلم فاطمة ميراثها وأنه - يعني أبا بكر - كذب على النبي (ص) في منعه ميراثها ، وكرر عليه المالكي الضرب يوم الاثنين ويوم الأربعاء الذي يليه ، وهو مصر على ذلك ، ثم أحضره يوم الخميس بدار العدل وشهد عليه في وجهه فلم ينكر ولم يقر ، ولكن صار كلما سئل يقول : إن كنت قلت فقد علم الله تعالى ، فكرر السؤال عليه مرات ، وهو يقول هذا الجواب ، ثم أعذر عليه ، فلم يبد دافعاً ثم قيل له : تب ، فقال : تبت عن ذنوبي وكرر عليه الاستتابة وهو لا يزيد في الجواب على ذلك ، فطال البحث في المجلس على كفره ، وعدم قبول توبته ، فحكم نائب القاضى بقتله فقتل ، وسهل عندي قتله ما ذكرته من هذا الاستدلال ، فهو الذي أنشج صدره لتكفيره بسببه ولقتله لعدم توبته ، وهو منزع لم أجد غيرى سبقنى إليه إلا ما سيأتى في كلام النووي وضعفه ، وأطال السبكي الكلام في ذلك . وما أنا أذكر حاصل ما قاله مع الزيادة عليه مما يتعلق بهذه المسألة وتوابعها منها على ما أزيده بأى ونحوها فأقول : أدعى بعض الناس أن هذا الرجل الراضى قتل بغير حق وشنع السبكي في الرد على مدعى ذلك بحسب ما ظهر له ، ورآه مذهباً وإلا فمذهبنا كما ستعلمه أنه لا يكفر بذلك فقال : كذب من قال إنه قتل بغير حق بل قتل بحق ، لأنه كافر مصر على كفره ، وإنما قلنا إنه كافر لأمر :

أحدها : قوله (ص) في الحديث الصحيح : « من رمى رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إن كان كما قال وإلا رجعت عليه » ، ونحن نتحقق أن أبا بكر مؤمن وليس عدو الله ، ويرجع على هذا القائل ما قاله بمقتضى نص هذا الحديث للحكم بكفره ، وقد حمل مالك رضى الله عنه هذا الحديث على الخوارج ، والذين كفروا أعلام الأمة ، فما استنبطته من هذا الحديث موافق لما نص عليه مالك ، أى ، فهو موافق لقواعد مالك لا لقواعد الشافعى رضى الله عنهما على أنه سيعلم مما سيأتى

(١) السبكي هو على بن عبد الكافي بن تمام السبكي الأنصاري الخنزرجي أبو الحسن شيخ الإسلام في عصره وأحد الحفاظ والمناظرين والمفسرين وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات ولد سنة (٦٨٣ هـ) وتوفى سنة (٧٥٦ هـ) وله الكثير من المصنفات ..

عن المالكية المعتمد عندهم في ذلك . وهذا الحديث وإن كان خبر واحد إلا أن خبر الواحد يعمل به في الحكم بالتكفير . وإن جحد لا كفر به إذ لا يكفر جحد الظنى بل القطعى ، وقول النووى رحمه الله : إن حمل مالك للحديث على الخوارج ضعيف لأن المذهب الصحيح عدم تكفيرهم ، فيه نظر وإنما يتجه ضعفه إن لم يصدر منهم سبب مكفر غير الخروج والقتال ونحوه ، وأما مع التكفير لمن تحقق إيمانه ، فمن أين للنووى ذلك انتهى . ويجاب بأن نص الشافعى وهو قوله أقبل شهادة أهل البدع والأهواء إلا الخطابية صريح فيما قاله النووى مع أن المعنى يساعده ، وأيضاً فتصريح أئمتنا فى الخوارج بأنهم لا يكفرون ، وإن كفرونا لأنه بتأويل ، فله شبهة غير قطعية البطلان صريح فيما قاله النووى ، ويؤيده قول الأصوليين إنما لم تكفر الشيعة والخوارج لكونهم كفروا أعلام الصحابة المستلزم لتكذيبه (ص) فى قطعة لهم بالجنة لأن أولئك المكفرين لم يعلموا قطعاً تزكية من كفروه على الإطلاق إلى مماته ، وإنما يتجه لكفرهم أن لو علم ذلك لأنهم حينئذ يكونون مكذبين له (ص) ، وبهذا تعلم أن جميع ما يأتى عن السبكى إنما هو اختيار له مبنى على غير قواعد الشافعية ، وهو قوله جواب الأصوليين المذكور إنما نظروا فيه لعدم الكفر لأنه لا يستلزم تكذيبه (ص) ولم ينظروا لما قلناه إن الحديث السابق دال على كفره ، وقد قال إمام الحرمين وغيره : يكفر نحو الساجد لصنم وإن لم يكذب بقلبه ، ولا يلزم على ذلك كفر من قال لمسلم : يا كافر لأن محل ذلك فى المقطوع بإيمانهم كالعشرة المبشرين بالجنة ، وعبدالله بن سلام ونحوهم بخلاف غيرهم ، لأنه (ص) أشار إلى اعتبار الباطن بقوله : إن كان كما قال وإلا رجعت عليه . نعم يلحق عندى وإن لم يذكر ذلك متكلم ولا فقيه بمن ورد النص فيهم من أجمعت الأمة على صلاحه ، وإمامته كابن المسيب والحسن ، وابن سيرين ، ومالك ، والشافعى . فإن قلت الكفر جحد الروبية أو الرسالة ، وهذا المقتول مؤمن بالله ورسوله وآله ، وكثير من صحابته ، فكيف يكفر . ؟

قلت : التكفير حكم شرعى سببه جحد ذلك ، أو قول أو فعل حكم الشارع بأنه كفر ، وإن لم يكن جحداً ، وهذا منه ، فهذا أحسن الأدلة فى المسألة وينضم إليه الحلية . من أذى لى ولياً فقد أذنته بالحرب ، والخبر الصحيح : لعن المؤمن كقتله ، وأبو بكر أكبر أولياء المؤمنين ، فهذا المأخذ الذى ظهر لى فى قتل هذا الرافضى ، وإن كنت لم أتقلده لا فتوى ولا حكماً وانضم إلى احتجاجى بالحديث السابق ما أشتملت عليه أفعال هذا الرافضى من إظهاره ذلك فى الملأ وإصراره وإعلامه البدعة . وأهلها ، وغصصه السنة وأهلها ، وهذا المجموع فى هذه الشناعة ، وقد يحصل بمجموع أمور حكم لا يحصل بكل واحد منها وهذا معنى قول مالك تحدث الناس أحكام بقدر ما يحدث لهم من الفجور . ولسنا نقول بتغير الأحكام بتغير الزمان بل باختلاف الصورة الحادثة . فهذا نهاية ما اتشرح صدرى له بقتل هذا الرجل ، وأما السب وحده ، ففيه ما قدمته وما سأذكره وإيذاؤه (ص) أمر عظيم إلا أنه ينبغي ضابط فيه ، وإلا فالمعاصى كلها تؤذيه ، ولم أجد فى كلام أحد من العلماء أن سب الصحابى يوجب القتل إلا ما يأتى من إطلاق الكفر من بعض أصحابنا وأصحاب أبى حنيفة ، ولم يصرحوا بالقتل ، وقد قال ابن المنذر لا أعلم أحداً يوجب القتل بمن سب من بعد النبى (ص) انتهى ، نعم حكى القتل عن بعض الكوفيين وغيرهم بل حكاها بعض الخنابلة رواية عن أحمد ، وعندى أنهم غلطوا فيه لأنهم أخذوه من قولهم شتم عثمان زندقة ، وعندى أنه لم يرد أن شتمه كفر ، وإلا لم يكن زندقة لأنه أظهرها ، وإنما أراد قوله المروى عنه فى موضع آخر من طعن فى خلافة عثمان ، فقد طعن فى المهاجرين والأنصار ، يعنى أن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أقام ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً يطوب على المهاجرين والأنصار ، ويخلو بكل واحد منهم رجالهم ونسائهم ويستشيرهم ، فيمن يكون خليفة

حتى اجتمعوا على عثمان ، فحينئذ بايعه ، فمعنى كلام أحمد أن شتم عثمان في الظاهر شتم له ، وفي الباطن تخطئه لجميع المهاجرين والأنصار ، وتخطئه جميعهم كفر ، فكان زندقة بهذا الاعتبار ، فلا يؤخذ منه أن شتم أبي بكر وعمر كفر . هذا لم ينقل عن أحمد أصلاً ، فمن خرج من أصحابه رواية عنه مما قاله في شتم عثمان بقتل ساب أبي بكر مثلاً لم يصنع شيئاً ، والضابط أن كل شتم قصد به أذى النبي (ص) ، كما وقع من عبدالله بن أبي بكر وما لا فلا ، كما وقع من مسطح في قصة الإفك ، وفي الحديث الصحيح «لاتسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه» . وفي حديث رجاله ثقات ، وإن قال الترمذى إنه غريب . «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدى فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه» وقوله : أصحابي . الظاهر أن المراد بهم من أسلم قبل الفتح ، وأنه خطاب لمن أسلم بعده بدليل تفاوت الإنفاق فيه الموافق له قوله تعالى : (لا يستورى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) الآية ، فلا بد من تأويل بهذا أو بغيره ليكون المخاطبون غير الأصحاب الموصى بهم فهم كبار الأصحاب وإن شمل اسم الصحبة الجميع ، وسمعت شيخنا التاج بن عطاء الله متكلم الصوفية على طريق الشاذلية يذكر في وعظه تأويلاً آخر هو أنه (ص) له تجليات يرى فيها من بعده ، فهذا خطاب لمن بعده في حق جميع الصحابة الذين قبل الفتح وبعده . ، فإن ثبت ما قاله ، فالحديث شامل لجميعهم وإلا فهو فيمن قبل الفتح بالنسبة لمن قبله ، وعلي كلا التقديرين ، فالظاهر أن هذه الحرمة ثابتة لكل واحد منهم . أى ، وكلام النووي وغيره صحيح في ذلك ثم الكلام إنما هو في سب بعضهم ، أما سب جميعهم ، فلا شك أنه كفر ، وكذا سب واحد منهم من حيث هو صحابي لأنه استخفاف بالصحبة فيكون استخفافاً به (ص) . وعلى هذا ينبغي أن يحمل قول الطحاوى : بغضهم كفر ، فبغض الصحابة كلهم ، وبغض بعضهم من حيث الصحبة لا شك أنه كفر ، وأما سب أو بغض بعضهم لأمر آخر ، فليس بكفر حتى الشيخين رضي الله عنهما . نعم حكى القاضى فى كفر سابهما وجهين : وجه عدم الكفر أن سب المعين أو بغضه قد يكون لأمر خاص به من الأمور الدنيوية أو غيرها . كبغض الراضى لهما فإنه إما هو جهة الرفض وتقديمه علياً واعتقاده بجهله أنهما ظلماه وهما مبرآن عن ذلك ، فهو معتقد لجهله أن ينتصر لعلى لقرابته رضي الله عنه النبي (ص) فعلم أن بغض الراضى للشيخين إنما هو لما استقر في ذهنه لجهله ، وما نشأ عليه من الفساد من اعتقاد ظلمهما لعلى وليس كذلك ، ولا على يعتقد ذلك قطعاً ، ومأخذ تكفير الراضى بذلك أنه يعود من اعتقاده ذلك فيهما نقص على الدين لأنهما الأصل بعد النبي (ص) فى إقامة الدين وإظهاره ، ومجاهدة المرتدين والمعاندين ، ومن ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه : لولا أبو بكر ما عبد الله بعد محمد (ص) . أى لأنه الذى رأى قتال المرتدين مع مخالفة أكثر الصحابة له حتى أقام عليهم الأدلة الواضحة على قتال المرتدين ، ومانعي الزكاة إلى أن رجعوا إليه ، وقاتلوهم بأمر ، فكشف الله به وبهم تلك الغمة وأزال عن الإسلام والمسلمين تلك المحنة .

ثانيها : أعنى الأمور الدالة على قتل ذلك الراضى أنه استحل لعن الشيخين وعثمان رضي الله عنهم بإقراره بذلك ، ومن استحل ما حرم الله فقد كفر ، ولعن الصديق وسبه محرمان ، واللعنة أشد ، وتحريم لعن الصديق معلوم من الدين بالضرورة ، لما تواتر عنه من حسن إسلامه وأفعاله الدالة على إيمانه ، وأنه دام على ذلك إلى أن قبضه الله تعالى ، هذا لا شك فيه ولا يرتاب وإن شك فيه الراضى ، نعم شرط الكفر بجحد الضرورى أن يكون ضروريات عند الجاحد حتى يستلزم جحده حينئذ تكذيبه (ص) ، وليس الراضى يعتقد تحريم لعن أبي بكر فضلاً عن كونه يعتقد أن تحريمه

ضرورى ، وقد ينفصل عنه بأن تواتر تحريم ذلك عند جميع الخلق يلقى شبهة الرافضى التى غلظت على قلبه ، حتى لم يعلم ذلك ، وهذا محل نظر وجدل ، وميل القلب إلى بطلان هذا القدر ، أى باعتبار ما ظهر للسبكي ، وإلا فقواعد المذهب قاضية بقبول هذا القدر بالنسبة لعدم التكفير ، لأنه إما يسب أو يعلن متأولاً ، وإن كان تأويله جهلاً وعصبية وحمية . لكن باب الكفر يحتاط فيه ، كما هو مقرر فى محله .

ثالثها : إن هذه الهيئة الاجتماعية التى حصلت من هذا الرافضى ومجاهرته ولعنه لأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم واستحلاله ذلك على رؤوس الأشهاد وهم أئمة الإسلام والذين أقاموا الدين بعد النبى (ص) وما علم لهم من المناقب والمآثر كالمطعن فى الدين والظعن فيه كفر ، فهذه ثلاثة أدلة ظهرت فى قلبى ، أى باعتبار ما ظهر ، وإلا فمذهب الشافعى رضى الله عنه ما قد علمت .

رابعها : المنقول عن العلماء . فمذهب أبى حنيفة رضى الله عنه أن من أنكر خلافه الصديق وعمر ، فهو كافر على خلاف حكاية بعضهم ، وقال الصحيح أنه كافر ، والمسألة مذكورة فى كتبهم ، فى الغاية للسروجى والفتاوى الظهيرية ، والأصل لمحمد بن الحسن ، وفى الفتاوى البيديعية ، فإنه قسم الرافضة إلى كفار وغيرهم ، وذكر الخلاف فى بعض طوائفهم ، وفيمن أنكر إمامة أبى بكر ، وزعم أن الصحيح أنه يكفر ، وفى المحيط أن محمداً لا يجوز الصلاة خلف الرافضة ، ثم قال : لأنهم أنكروا خلافة أبى بكر ، وقد أجمعت الصحابة على خلافته ، وفى الخلاصة من كتبهم ، وأن من أنكر خلافة الصديق ، فهو كافر ، وفى تنحة الفتاوى ، والرافضى المتغالى الذى ينكر خلافة أبى بكر يعنى لا تجوز الصلاة خلفه ، وفى المرغينانى : وتكره الصلاة خلف صاحب هوى أو بدعة ، ولا تجوز خلف الرافضى ثم قال : وحاصله إن كان هوى يكفر به لا يجوز وإلا يحوز ويكره ، وفى شرح المختار ، وسب أحد من الصحابة ويغضه لا يكون كفوفاً لكن يضل ، فإن علياً رضى الله عنه لم يكفر شاتمته ، وفى الفتاوى البيديعية : من أنكر إمامة أبى بكر رضى الله عنه ، فهو كافر ، وقال بعضهم هو مبتدع ، والصحيح أنه كافر ، وكذلك من أنكر خلافة عمر فى أصح الأقوال ، ولم يتعرض أكثرهم للكلام على ذلك ، وأما أصحابنا الشافعيون ، فقد قال القاضى حسين فى تعليقه من سب النبى (ص) يكفر بذلك ومن سب صحابياً فسق ، وأما من سب الشيخين أو الختنتين فبفيه وجهان : أحدهما يكفر لأن الأمة أجمعت على إمامتهم ، والثانى يفسق ، ولا يكفر . ولا خلاف أن من لا يحكم بكفره من أهل الأهواء لا يقطع بتخليده فى النار . وهل يقطع بدخولهم النار وجهان انتهى . وقال القاضى إسماعيل المالكي : إنما قال مالك فى القدرية وسائر أهل البدع يستتابون فإن تابوا ، وإلا قتلوا لأنه من الفساد فى الأرض ، كما قال فى المحارب وهو فساد فى مصالح الدنيا ، وقد يدخل فى الدين من قطع سبيل الحج والجهاد وفساد أهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل فى الدنيا بما يلقونه بين المسلمين من العداوة ، وقد اختلف قول مالك ، والأشعرى فى التكفير والأكثر على ترك التكفير . قال القاضى عياض : لأن الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود البارى تعالى ، ووصف الرافضة بالشرك وإطلاق اللعنة عليهم . وكذا الخوارج وسائر أهل الأهواء حجج للمكفرين ، وقد يجيب الآخرون بأنه قد ورد مثل هذه الألفاظ فى غير الكفر تغليظاً . وكفر دون كفر ، وإشراك دون إشراك ، وقوله فى الخوارج : اقتلوهم قتل عاد يقتضى الكفر ، والمناع يقول هو حد لا كفر ، قال القاضى عياض : فى سب الصحابة قد اختلف العلماء فيه ، ومشهور مذهب مالك فيه الاجتهاد والأدب المرجع ، قال مالك رحمه الله : من شتم النبى (ص) قتل ، وإن شتم الصحابة أدب وقال أيضاً : من شتم أحداً من

أصحاب النبي (ص) أبا بكر أو عمر أو معاوية أو عمرو بن العاص فإن قال : كانوا على ضلال أو كفر قتل ، وإن شتمهم بغير هذا من مشاقة الناس نكلاً شديداً انتهى . وقوله : يقتل من نسبهم إلى ضلال أو كفر حسن إذا نسبهم إلى الكفر لأنه (ص) شهد لكل فهم بالجنة فإن نسبهم إلى الظلم دون الكفر ، كما يزعم بعض الرافضة ، فهو محل التردد لأنه ليس من حيث الصحبة ولا الأمر يتعلق بالدين ، وإنما هو لخصوصيات تتعلق بأعيان بعض الصحابة ، ويرون أن ذلك من الدين لا تنقيص فيه ، ولا شك أن الروافض ينكرون ما علم بالضرورة ، ويفترون على الصحابة بما نعلم من الضرورة براءتهم منه ، لكنه لا يقتضى تكذيبهم للنبي (ص) بل يزعمون أنه موافق له (ص) ، ونحن نكذبهم فى ذلك ، فلم يتحقق إلى الآن من مالك ما يقتضى قتل من هذا شأنه ، وقال ابن حبيب من غلام من الشيعة إلى بغض عثمان ، والبراءة منه أدب أدباً شديداً ، ومن زاد إلى بغض أبى بكر وعمر ، فالعقوبة عليه أشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ، ولا يبلغ به القتل إلا فى سب النبي (ص) ، قال سحنون : من كذب أحداً من أصحاب النبي (ص) علماً أو عثماناً أو غيرهما يوجع ضرباً . وحكى ابن أبى زيد ، عن سحنون : من قال فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى إنهم كانوا على ضلال وكفر وقتل ، ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكلاً الشديداً انتهى ، وقتل من كفر الأربعة ظاهر لأنه خلاف إجماع الأمة إلا الغلاة من الروافض ، فلو كفر الثلاثة ولم يكفر علماً لم يصرح سحنون فيه بشئ ، وكلام مالك المتقدم أصرح فيه ، وروى عن مالك رضى الله عنه : من سب أبا بكر جلد ، ومن سب عائشة قتل ، وقال أحمد بن حنبل : فىمن سب الصحابة أما القتل فأجيب عنه لكن أضربه ضرباً نكالا ، وقال أبو يعلى الحنبلى الذى عليه الفقهاء فى سب الصحابة إن كان مستحلاً لذلك كفر . وإن لم يكن مستحلاً فسق ولم يكفر قال ، وقد قطع طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة ، وغيرهم بقتل من سب الصحابة وكفر الرافضة ، وقال محمد بن يوسف الفريابى وسئل عمن شتم أبا بكر قال : كافر ، قيل يصلى عليه ؟ قال : لا ، ومن كفر الرافضة أحمد بن يونس ، وأبو بكر بن هانىء ، وقالوا : لا تؤكل ذبايحهم لأنهم مرتدون ، وقال عبد الله بن إدريس أحد أئمة الكوفة : ليس للرافضى شفعة ، لأنه لا شفعة إلا لمسلم ، وقال أحمد فى رواية أبى طالب شتم عثمان زندقة ، وأجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة على أنهم فساق ، وعمن قال بوجوب القتل على من سب أبا بكر وعمر عبد الرحمن بن أبزى الصحابى رضى الله عنه ، وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه لسان عبد الله بن عمر إذ شتم مقداد بن الأسود رضى الله عنه ، فكلم فى ذلك ، فقال دعونى أقطع لسانه حتى لا يشتم أحداً من أصحاب النبي (ص) . وفى كتاب ابن شعبان : من قال فى واحد منهم إنه ابن زانية وأمه مسلمة حد عنه بعض أصحابنا حديثين : حداً له واحداً لأمه ، ولا أجعله كغاذف الجماعة فى كلمة لفضل هذا على غيره . لقوله (ص) : « من سب أصحابى فاجلدوه قال ومن قذف أم أحدهم وهى كافرة حد حد القرية لأنه سب له ، وإن كان على الإمام قبول قيامه .

قال : وليس هذا كحقوق غير الصحابة لخيريتهم بنبيهم (ص) ولو سمعه الإمام وأشهد عليه كان ولى القيام به ، ومن سب عائشة رضى الله عنها ، ففيه قولان : أحدهما يقتل ، والآخر كسائر الصحابة يجلد جلد المفترى ، قال ، وبالأول أقول . وروى أبو مصعب ، عن مالك : من سب آل بيت محمد يضرب ضرباً وجيعاً ويشهر ويحبس طويلاً حتى يظهر توبته لأنه استخفاف بحق رسول الله (ص) ، وأفتى ابن مطرفى فىمن أنكر تحليف امرأة بالليل ، وقال : لو كانت بنت أبى بكر ما حلفت إلا بالنهار بالأدب الشديد لذكر ابنة أبى بكر فى مثل هذا ، قال هشام بن عمار : سمعت مالكا يقول : من سب أبا بكر وعمر قتل ، ومن سب عائشة رضى الله عنها قتل ، لأن الله تعالى يقول

فيها: (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين) ، فمن رماها ، فقد خالف القرآن ، ومن خالف القرآن قتل ، قال ابن خضر ، وهذا قول صحيح ، واحتج الكفرون للشيعة والخوارج بتكفيرهم أعلام الصحابة رضى الله عنهم ، وتكذيب النبي (ص) فى قطعة لهم بالجنّة ، وهو احتجاج صحيح ، فيمن ثبت عليه تكفير أولئك . ومر أن أئمة الحنفية كفروا من أنكر خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، والمسألة فى (الغاية) وغيرها من كتبهم كما مر ، وفى (الأصل) لمحمد بن الحسن رحمه الله ، والظاهر أنهم أخذوا ذلك عن إمامهم أبى حنيفة رضى الله عنه وهو أعلم بالروافض لأنه كوفى والكوفة منبع الرفض ، والروافض طوائف منهم من يجب تكفيره ، ومنهم من لا يجب تكفيره ، فإذا قال أبو حنيفة بتكفير من ينكر إمامة الصديق رضى الله عنه ، فتكفير لاعتنه عنده أولى ، أى إلا أن يفرق . إذا الظاهر أن سبب تكفير منكر إمامته مخالفته للإجماع بناء على أن جاحد الحكم المجمع عليه كافر ، وهو المشهور عند الأصوليين وإمامته رضى الله عنه مجمع عليها من حين بايعه عمر ولا يمنع من ذلك تأخيربيعة بعض الصحابة فإن الذين تأخرت بيعتهم لم يكونوا مخالفين فى صحة إمامته ، ولهذا كانوا يأخذون عطاءه ويتحاكمون إليه ، فالببيعة شئ ، والإجماع شئ ، ولا يلزم من أحدهما الآخر ، ولا من عدم أحدهما عدم الآخر ، فافهم ذلك ، فإنه قد يغلط فيه .

فإن قلت شرط الكفر بإنكار المجمع عليه أن يعلم من الدين بالضرورة قلت ، وخلافة الصديق كذلك لأنبيعة الصحابة له ثبتت بالتواتر المنتهى إلى حد الضرورة ، فصارت كالمجمع عليه المعلوم بالضرورة ، وهذا لا شك فيه ، ولم يكن أحد الروافض فى أيام الصديق رضى الله عنه ولا فى أيام عمر وعثمان ، وإنما حدثوا بعده . فمقالتهم حادثة ، وجوابه أن الخلافة من الوقائع الحادثة وليست حكماً شرعياً وجاهد الضرورى إنما يكفر إذا كان ذلك الضرورى حكماً شرعياً كالصلاة والحج لاستلزامه تكذيب النبي (ص) بخلاف الخلافة المذكورة إلا أن يقال إنه يتعلق بها أحكام شرعية كوجوب الطاعة وما أشبهه ومر عن القاضى حسين أن فى كفر ساب الشيخين أو الختئين وجهين ، ولا ينافيه جزمه فى موضع آخر بفسق ساب الصحابة ، وكذا ابن الصباغ وغيره وحكوه عن الشافعى رضى الله عنه ، لأنهما مسألتان ، فالثانية فى مجرد السب وهو مفسق ، وإن كان المسبوب من آحاد الصحابة وأصاغرهم بخلاف الأول ، فإنها خاصة بسب الشيخين أو الختئين ، وهو أشد وأغلظ فى الزجر بأن فيه وجهاً بالكفر ، وأما تكفير أبى بكر ونظرائه ممن شهد لهم النبي (ص) بالجنة فلم يتكلم فيها أصحاب الشافعى ، والذي أراه الكفر فيها قطعاً موافقة لمن مر . ومر عن أحمد أن الطعن فى خلافة عثمان طعن فى المهاجرين والأنصار ، وصدق فى ذلك ، فإن عمر جعل الخلافة شورى بين ستة عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص فالثلاثة الأخيرون أسقطوا حقوقهم ، وعبد الرحمن لم يردها لنفسه ، وإنما أراد أن يبايع أحد الأولين عثمان أو علياً ، فاحتاط لدينه ، وبقي ثلاثة أيام بلياليها لا ينام وهو يدور على المهاجرين والأنصار ويستشيرهم فيمن يتقدم عثمان أو على ، ويجتمع بهم جماعات وفرادى ، ورجالاً ونساء ، ويأخذ ما عند كل واحد منهم فى ذلك إلى أن اجتمعت آراؤهم كلهم على عثمان رضى الله عنهم ، فبايعه ، فكانتبيعة عثمان عن إجماع قطعى من المهاجرين والأنصار ، فالطعن فيها طعن فى الفريقين ، ومن ثم قال أحمد أيضاً شتم عثمان زندقة ، ووجهه أنه بظاهاه ليس بكفر وبباطنه كفر لأنه يؤدى إلى تكذيب الفريقين ، كما علمت ، فلا يفهم من كلامه كفر ساب الصحابة خلافاً لبعض أصحابه كما مر . فتلخص أن سب أبى بكر كفر عند الحنفية . وعلى أحد الوجهين عند الشافعية ، ومشهور مذهب مالك أنه يجب به الجلد فليس بكفر ، نعم . قد يخرج عنه ما مر عنه فى الخوارج أنه كفر ، فتكون المسألة عنده على حالين إن

اقتصرت على السب من غير تكفير لم يكفر وإن كفر ، فهذا الراضى السابق ذكره كافر عند مالك وأبى حنيفة ، وأحد وجهى الشافعى ، وزنديق عند أحمد بتعرضه إلى عثمان المتضمن لتخضته المهاجرين والأنصار ، وكفره هذا ردة لأن حكمه قبل ذلك حكم المسلمين والمرتب يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل ، فكان قتله عن مذهب جمهور العلماء أو جميعهم لأن القائل بأن الساب لا يكفر لم يتحقق منه أنه يطرده ، فيمن يكفر أعلام الصحابة رضوان الله عليهم ، فأحد الوجهين عندنا إنما اقتصرت على الفسق فى مجرد السب دون التكفير وكذلك أحمدانما جين عن قتل من لم يصدر منه إلا السب ، والذي صدر من هذا الرجل أعظم من السب ، ومر أن الطحاوى قال فى عقيدته ، وبغض الصحابة كفر ، فيحتمل أن يحمل على مجموع الصحابة وأن يحمل على كل منهم ، لكن إذا أبغضه من حبت الصحبة ، وأما جعل مجرد بغضه كفراً ، فيحتاج لدليل ، وهذا الراضى وأشباؤه بغضهم للشيخين وعثمان رضى الله عنهم ليس لأجل الصحبة لأنهم يحبون علياً والحسنين وغيرهما بل لهوى أنفسهم واعتقادهم بجهلهم وعنادهم وظلمهم لأهل بيت النبى (ص) ، فالظاهر أنهم إذا اقتصروا على السب من غير تكفير ولا جحد مجمع عليه لا يكفرون .

خامسها : يمكن التمسك أيضاً فى قتل هذا الراضى ، بأن هذا المقام الذى قامه لا شك أنه يؤذى النبى (ص) : وإيذاؤه موجب للقتل ، بدليل الحديث الصحيح أنه (ص) قال : فيمن آذاه ، من يكفينى عدوى ، فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه : أنا أكفيكه ، فبعثه إليه النبى (ص) فقتله ، لكن مر ما يخدم فى ذلك وهو أن كل أذى لا يقتضى القتل ، وإلا يعم سائر المعاصى لأنها تؤذيه (ص) . قال تعالى : (إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم) الآية ، وهذا الراضى إنما قصد بزعمه انتصاره لآل بيت النبى (ص) ، فلم يقصد إيذاءه (ص) أى ، فلم يتضح دليل على قتله ، وأما الوقعة فيها تنقيص له وتنقيصه كفر . وينبنى على ذلك حكم الوقعة فى بقية أمهات المؤمنين . فعلى الأول لا يكون كفراً ، وعلى الثانى يكون كفراً ، وهو الأرجح عند بعض المالكية ، وإنما لم يقتل (ص) قذفه عائشة لأن قذفهم كان قبل نزول القرآن ، فلم يتضمن تكذيب القرآن ولأن ذلك حكم نزول بعد نزول الآية ، فلم ينعتف حكمه على ما قبلها .

سادسها : مر فى الخبر الصحيح : لا تسبوا أصحابى من أحبهم أحبنى ، ومن أبغضهم أبغضنى ومن آذاهم آذانى ، وهذا يشمل سائر الصحابة ، لكنهم درجات ، فيتفاوت حكمهم فى ذلك بتفاوت درجاتهم ومراتبهم ، والجريمة تزيد بزيادة من تعلقت به ، فلا يقتصر فى سب أبى بكر رضى الله عنه على الجلد الذى يقتصر عليه فى جلد غيره لأن ذلك الجلد لمجرد حق الصحبة ، فإذا أنضاف إلى الصحبة غيرها مما يقتضى الاحترام لنصرة الدين وجماعة المسلمين ، وما حصل على يده من الفتوح وخلافة النبى (ص) ، وغير ذلك كان كل واحد من هذه الأمور يقتضى مزيد من حق موجب لزيادة العقوبة عند الاجترأ عليه ، فتزاد العقوبة . وليس ذلك التجدد حكماً بعد النبى (ص) بل لأنه (ص) شرح أحكاماً وأناطها بأسباب ، فنحن نتبع تلك الأسباب ، ونرتب على كل سبب منها حكمه ، وكان الصديق فى حياة النبى (ص) له حق السبق إلى الإسلام والتصديق والقيام فى الله تعالى ، والمحبة التامة ، والإنفاق العظيم البالغ أقصى غايات الوسع والامكان على النبى (ص) وأصحابه والنصرة وغير ذلك من خصاله الحميدة المذكورة فى هذا الكتاب وغيرها ، ثم بعد النبى (ص) ترتبت له خصوصيات وفضائل أخر كخلافته التى قام بها بما لم يمكن أن يقوم به أحد من الأمة بعده ، كم هو معلوم مقطوع به لا ينكره إلا معاند مكابر جاهل غبى ، وكمقاتلته لأهل الردة وممانعى الزكاة . وما ظهر عنه فى ذلك من الشجاعة التى لم يسبق أحد فيها غباره ، ولم يدرك أثره . سر دد

يزداد حقه وحرمة ويستحق من أجتراً عليه زيادة العذاب ، والنكال ، فلا يبعد لكونه من الدين ، والفضل بهذا المحل الأسنى والمقام الأسمى أن يكون سابه طاعناً فى الدين ، فيستحق القتل على ما مر . ولقد قتل الله بسبب يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام خمسة وسبعين ألفاً . قال بعض العلماء ، وذلك دية كل نبي ، ويقال : إن الله تعالى أوحى إلى نبينا (ص) أنى قتلت يحيى بن زكريا سبعين ألفاً ، لأقتلن بالحسين ابن ابنتك سبعين وسبعين ألفاً» (٢) ، وهكذا الصديق رضى الله عنه يظهر الله تعالى حرمة وحقه بالجزاء كثير من الروافض لعنهم الله الذين أخزاهم الله بقتل هذا الرافضى ، وكانت ترتفع أنوفهم لو صفيح عنه ، وقد قال أبو يوسف صاحب أبى حنيفة رضى الله عنه التعزير يجوز بالقتل ، وتجزئ هذا الرافضى على هذا المقام العلى الذى هو مقام الصديق والخلفاء الراشدين من أعلى الأسباب المقتضية للتعزير الذى يجوز به عند أبى يوسف الارتقاء إلى القتل ، أى ، فعلم أن قتل هذا الرافضى حق صحيح لا اعتراض عليه بناء على مذهب أبى حنيفة ، وكذا على وجه عند الشافعية ، وكذا على مر عند الحنابلة . فتدبر هذه الواقعة ، وما سقته لك من كلام العلماء فيها ، فإن فيها أحكاماً مهمة ، وفوائد جمة ، قلما تجدها مجموعة فى كتاب ، مرفوعاً عنها النقاب سالمة من الطعن والريب منزهة عن التعصب والعيب ، وقد ذكرت فى كتابى الملقب بالأعلام فى قواطع الإسلام ما يوضح ما أشرت إليه خلال كلام السبكي مما يفزع ما قاله علي اختياره الموافق لغير قواعد مذهبنا ، فاطلب بيان ذلك من الكتاب المذكور (١) ، فإنه لم يصنف فى باه مثله ، بل لم أظفر بأحد من أنستنا ألف كتاباً فى المفكرات وحدها ولا أستوعب حكمها على المذاهب الأربعة مع الكلام على كل من مسائله بما ينشرح له الصدر ، وتقر به العين ، فاستوفيت كل ذلك فى ذلك المؤلف العديم النظر عند من سلم من داء الحسد والسخيمة ، ولم يطول على العناد أدبمه ، نفعنى الله به وبغيره وأدام على من جوده وفضله وكرمه وخيره إنه الرؤوف الكريم ، الجواد الرحمن الرحيم .. (٣)



(٢) قال ابن حبان فى هذا الحديث لا أصل له . وأخرجه الحاكم وقال صحيح ووافقه الذهبى وقال على شرط مسلم ..
(٣) ناقل هذه الرواية هو ابن حجر الهيتمى وذكرها فى كتابه الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة . توفى سنة ٩٧٤ هـ

ملحق (٤)

نماذج من كتب التراث التي تجرم الرأي وتؤصل التعصب وتستبيح المخالف وترفع أهل السنة فوق الجميع :

- اقتضاء الصراط المستقيم فى مخالفة أصحاب الجحيم : ابن تيمية ..
 - اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية : ابن قيم الجوزية ..
 - الرد على الجهمية والزنادقة : ابن حنبل ..
 - أصول الدين : البغدادي ..
 - العقيدة الطحاوية : الطحاوي ..
 - العقيدة الواسطية : ابن تيمية ..
 - الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزنادقة : ابن حجر الهيتمي ..
 - أحكام أهل الذمة : ابن قيم الجوزية ..
 - الفرق بين الفرق : البغدادي
 - العواصم من القواصم : أبو بكر بن العربي ..
 - نقد المنطقي : ابن تيمية ..
 - الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة : البيهقي ..
 - الفصل فى الملل والنحل : ابن حزم
 - درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية
 - مجموع الفتاوى : ابن تيمية
 - الاعتصام : للشاطبي
 - مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد : محمد بن عبد الوهاب ..
 - أصول أهل السنة والجماعة : الأشعري ..
 - عقيدة أهل السنة : ابن حنبل
 - الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة : ابن بطة ..
 - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : لللكاني ..
- ويلاحظ أن معظم هذه الكتب من إصدارات تيار الحنابلة الذى تمثله كتب ابن تيمية وابن قيم وابن عبد الوهاب وابن بطة واللكاني بالإضافة إلى كتب ابن حنبل . وهذه الكتب الحنبلية هى المعتمدة لدى التيارات الإسلامية اليوم ..



المحتويات

٧ مقدمة الناشر
٩ تقديم
١١ الرأى والنص
٢٣ العنف
٤٥ سلاح الرواية
٥٧ القرآن والرأى
٦٩ شهداء الرأى
١١٩ ملاحق :

* موجز حوادث الرأى فى تاريخ المسلمين

* حادث عام ٧٥٥ هـ

* الشورى بين الشيعة والسنة

للمؤلف

- الشيعة فى مصر : من الإمام على حتى الإمام الخمينى ..
- مذكرات معتقل سياسى ..
- عقائد السنة وعقائد الشيعة : التقارب والتباعد ..
- مصر وإيران : صراع الأمن والسياسة ..
- الخدعة : رحلتى من السنة إلى الشيعة ..
- فقهاء النفط : راية الإسلام أم راية آل سعود ..
- أهل السنة شعب الله المختار ..
- زواج المتعة حلال ..
- الحركة الإسلامية فى مصر ..
- موسوعة آل البيت (فى أجزاء)
- ابن باز فقيه آل سعود ..
- السيف والسياسة : إسلام السنة أم إسلام الشيعة ..
- دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ..
- وتحت الطبع :
- مدافع الفقهاء ..
- دفاع عن القرآن ضد أهل السنة ..
- فقه الهزيمة : دراسة فى أصول الفكر السلفى ..
- الميزان الجلى بين أبى بكر وعلى ..
- العقل المسلم بين أغلال السلف وأوهام الخلف ..
- السلفيون والشيعة ..
- الأزهر والحكام ..
- مصارع الحكام فى تاريخ الإسلام ..
- المناظرات : بين فقهاء الشيعة وفقهاء السنة ..
- غلو أهل السنة ..

قائمة إصدارات مركز الحضارة العربية

الحكومة والسياسة فى الإسلام الوجيز فى بداية التكوين رسالة التوحيد للإمام محمد عبده الإسلام والعروبة كيف تقرأ القرآن كيف تحمّد القرآن التربية الإسلامية القرآن : حل مشاكل الأمة قيس من نور الأسماء نظرات فى نزول القرآن على سبعة أحرف مطربة الغروب (قصص قصيرة) مخلوقات الأشواق الطائرة (نصص قصيرة) حرب بلاد نمم (قصص قصيرة) حكايات الديب رماح (قصص قصيرة) هذه الليلة الطويلة (مسرحية) ليس هناك ما يبهج (قصص قصيرة) لا أحد (قصص قصيرة) مملكة القروء (مسرحية) أحزان رجل لا يعرف البكاء (قصص قصيرة) الشاعر والحرامي (قصص قصيرة) رشفات من قهوتى الساخنة (قصص قصيرة) فى المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع قصائد حب عراقية (شعر) رويدا باتجاه الأرض (شعر) نصف حلم فقط (شعر) صلاة المودع (شعر) من فصول الزمن الرديء (شعر) إذهب قبل أن أبكى (شعر) اللعبة الأبدية ... (شعر) غريرة الصبح (شعر) الغريرة والعشق (شعر) عطر النغم الأخضر (شعر) العجوز المراوغ يشد أطراف النهر هذه الروح لى (شعر) فى مقام العشق (شعر) ندى على الأصابع (شعر)	أفريقيا الشيخان القصص الشعبى فى مصر إغاثة الأمة فى كشف الغمة الفاشوش فى حكم قراقوش الحكمة المدنية صور من رمضان كشف المستور من قبائح ولاة الأمور النقود الإسلامية فى مصر المرأة التى أحبها عبد الناصر عبد الناصر .. والإخوان حوارات عن عبد الناصر عبد الناصر .. هذا المواطن برلنتى والمشير (القصة الحقيقية) عمود الزمر .. حوارات ووثائق اعترافات الأميرة جيهان الأعشاب الطبية الجنس والشباب الذكى تجارة الجنس الصوت والضوضاء ماهى السينما قضايا المنتج المعاصر عزة فى الفضاء (أطفال) مهرجان (سلسلة للأطفال والفتيان) العصفور (سلسلة للأطفال والفتيان) البديل الناصرى (قراءة أوراق التنظيم) عن الناصرية والناصرين الأقليات التاريخية فى الوطن العربى الناصرية والتاريخ الناصرية .. الأيديولوجيا والمنهج التنمية المستقلة فى النموذج الناصرى فلسطين الانتفاضة .. جدل الوطن والأمة كاريزما الزعامة الناصرية الناصرية والتجديد الكلمة والسيف الحركة الإسلامية فى مصر الحركة الإسلامية فى مصر .. واقع الثمانينات المسيح فى الإسلام	مخابرات ومخدرات فى جنازة المقاطعة العربية لإسرائيل القدس الماسونية الحركات الهدامة الصهيونية السياسية العنصرية والإرهاب فى الأدب الصهيونى يهود يحاربون إسرائيل السلام الفتاك البديل الإسرائيلى للعروبة مشروع للانتحار القومى! غزة أريحا - المأزق والخلاص غزة أريحا - التسوية المستحيلة صفقة التسوية الأردنية الإسرائيلية سلام أم استسلام أوهام السلام بروتوكولات حكماء صهيون التلمود التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة القوة العسكرية الإسرائيلية سقوط نجم مخابرات إسرائيل عملية السرب الأحمر «إغراق إيلات» الإختراق الإسرائيلى للزراعة فى مصر إختراق الأمن الوطنى المصرى المياه العربية بين نواذر العجز ومخاطر التبعية من يحمى عروش الخليج (النفط والتبعية) إعدام صحفى الكرامة الضائعة فى الصحراء أزمة الإنتماء فى مصر مصر الفرعونية التطرف الدينى ومستقبل التفسير فى مصر كارثة المعونة الأمريكية العلاقات الليبية - الأمريكية بان أمريكان ١٠٣ (انهام ليبيا أم انهام أمريكا) حلايب .. نزاع الحدود بين مصر والسودان الإخوان والعسكر القوى الخارجية فى السودان نظم الحكم العنصرية فى جنوب
---	---	--